ما بين يونان النبي والربِّ يسوع

في القديم رَكِبَ يونان السفينة هربًا من وجه الربِّ، فأرسل الربُّ ريحًا شديدة في البحر حتى كادت السفينة تغرق، ولم يهدأ البحر إلَّا بطَرْح يونان فيه. أمَّا الربُّ فأعدَّ حوتًا عظيمًا ليبتلع يونان. فكان يونان في جوف الحوت ثلاثة أيام إلى أن لَفَظَه حيًّا ليكرز بالتوبة لأهل نينوى. وصار يونان آيةً لنينوى، ورمزًا لموت المسيح وقيامته. وهنا المسيح (في هذه الصورة) نائمٌ في السفينة بشِبْه موته، والريح تهبُّ بعنفٍ حتى كادت السفينة تغرق. فقام الربُّ وانتهر الريح والبحر، فصار هدوء عظيم؛ وهذه إشارة بليغة لفعل موته وقيامته في حياتنا المُعذَّبة بين أمواج العالم!

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٨ فبراير ٢٠٢٤م.

العدد ٦٥١ طوبة / أمشير ١٧٤٠ش.

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

سالموا بعضكم بعضًا ١

مقال للأب متى المسكين:

يونان والمسيح..... ٦

بمناسبة صوم نينوى: التوبة ١٢

يونان النبي كمثال للربِّ يسوع ١٧

من قصص التوبة: توبة القدِّيس هيلاري ٢١

في الحياة الروحية: جوهر الحياة الروحية (٢) ٢٥

ادخل إلى العمق (٣٩):

المولود من الله، ومواجهة الخطية ٣٠

من التراث الكنسي:

معرفة الله كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة (٩) ٣٧

دراسات ليتورجية:

الحياة الليتورجية لكنيسة الإسكندرية (١٠)..... ٤١

بحث تاريخي: كنائس قبطية باسم ق. يوحنا المعمدان (٢) .. ٤٤

تقديم كتاب: الإيمان بالثالوث (١) ٤٩

حول العالم: أخبار متنوِّعة..... ٥١

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 21-23 ..... ٥٦

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس كيرلس الكبير

يونان وتدبير المسيح الخلاصي

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✝❁

[عند اعتبار تدبير المسيح نموذجًا لقصة هذا النبي المُبارك

ينبغي أن نؤكِّد أنَّ الأرض كلَّها كانت في خطر،

وأنّ الجنس البشريّ كان قد ثارت عليه عاصفة،

لا سيَّما أنَّ أمواج الخطيَّة نفسِها قد هاجمَته،

فاللَّذَّات الفظيعة التي لا تُطاق كانت تغمره (...).

لكن فيما كنَّا على هذه الحال، أشفق علينا الخالق،

وأرسل لنا الله الآب من السَّماء ابنه،

الَّذي لمَّا صار في الجسد، وجاء إلى الأرض

التي كانت تُحدِق بها الأخطار والعواصف،

أخضع نفسه بإرادته للموت،

لكي يَكبح جماح النَّوء، ويُهدِّئ البحر،

ويُسَكِّن الأمواج، ويضع حدًّا للعاصفة.

لأنَّنا قد خَلَصنا بموت المسيح.

فالعاصفة هدأَت، والمطر زال، والأمواج سكنَت،

وتلاشت قوَّة الرِّياح، وأخيرًا عَمَّ هدوءٌ عميق،

وها نحن في سكينةٍ روحيَّة، بعد ما تألَّم المسيح من أجلنا].

(تفسير سفر يونان)

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا

تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤

٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤

٠١٠٢٣٨٢١٣٨١

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك

تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠

تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

عنوان البريد الإلكتروني:

stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري

تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:

مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا

على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة

أو على حساب شيكات بريدية رقم:

٠١٣٣١٠٠٠٣٠٨٥٨١٨

ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد

أو عن طريق خدمة أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة

وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

ثمن النسخة اثنا عشر جنيهًا

الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:

١٢٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)

١٥٠ جنيهًا: داخل مصر (بالبريد)

٤٠٠ جنيه: في البلاد العربية

١٠٠ دولار أمريكي: في البلاد الأخرى

يُسدَّد عن طريق موقع الدير **على الإنترنت**

عنوان المراسلات: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة

مطبعة دير القديس أنبا مقار

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٤

الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

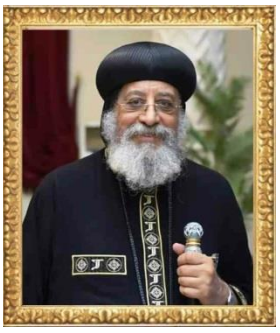

الافتتاحية

وصايا قصيرة جدًّا

سالموا بعضكم بعضًا

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

✠✠✠

«سَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (١تس ٥: ١٣):

خلق الله الإنسان ليعيش في سلام، فآدم وحواء كانا يتمتَّعان بمعيَّة الله في سلام، ولم يكن هناك ما يُفسِد سلامهما، وكانا يتمتَّعان بحياتهما الفردوسيَّة. فمنذ البدء جعل الله الطبيعة تخدمهما، والحيوانات تُطيعهما وتخضع لهما؛ ولكن عندما دخلت الخطية إلى العالم بحسد إبليس، وعندما كَسَرَ آدم وحواء الوصية، وكسرا أيضًا قلب الله مُعطي الوصية، لُعِنَت الأرض بسببهما، وصارت الحيوانات تتصارع، وحُرِم آدم من أمان الوحوش، واختفى السلام من الطبيعة، فصارت الزلازل والبراكين والطوفان.

وبمجيء الخطية إلى العالم وفسد العالم، كان من أهم وأصعب نتائج هذه الخطية هو غياب السلام، وبدأنا نسمع أنَّ آدم وحواء يختبئان من وجه الله: «فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: "أَيْنَ أَنْتَ؟"» (تك ٣: ٩). فأجاب آدم: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ» (تك ٣: ١٠)، فكانت الخطية هي وصمة العار التي وصمت الإنسان، وخصوصًا أنَّ مَنْ ارتكبها هو رأس البشر!!

وكانت النتيجة: إنَّ الخطية قد امتدَّت إلى العالم كلّه، وفَقَدَت الأرض السلام!!

وأصبح الإنسان لا يحتمل أخاه الإنسان، والدليل على ذلك أنَّه في بدء الخليقة، وبينما كانت الأرض خربة، ولا يوجد بها معالم للحياة، لا شوارع ولا طُرُق ... إلَّا أننا نجد قايين لا يحتمل أخاه هابيل ويقتله، بالرغم من أنه لم يكن معهما أحدٌ على سطح الكُرة الأرضيَّة. «وَحَدَثَ إِذْ كَانَا فِي الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ قَامَ عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ وَقَتَلَهُ» (تك ٤: ٨)، "القتل" يا لها من كلمةٍ مُرعِبة!! كيف يستطيع أخٌ أن يقتل أخاه؟! أين كان عقله؟! لقد

أفقدته الخطية عقله، وسلامه، ورابطة الدم والأُخوَّة، التي بينه وبين أخيه!!

قِسْ على هذا، ما حدث في العالم ابتداءً من قايين وهابيل، وامتدادًا إلى الحروب والصراعات في هذا العالم حتى يومنا هذا، فهل كان الله يقصد أن تكون خليقته بهذه الصورة؟ بالطبع لا، فكلُّ هذا من صُنع الإنسان، حتى صار الإنسان لا يحتمل أخاه الإنسان!

وبذلك فَقَد الإنسان السلام، وصارت حياته مُتعبة، ونتيجة لذلك أُصيب بالكآبة والقلق والهمِّ ... إلخ، من أمراض العصر!! إنَّ الإنسان بخطيته، دخل على هذا العالم الخالي من السلام.

أولًا: مجالات صُنع السلام مع الآخرين:

١. في البيت:

يُذكِّرنا سِفْر الأمثال، بهذه الآية اللطيفة والمُعبِّرة جدًّا عن حياتنا وهي: «لُقْمَةٌ يَابِسَةٌ وَمَعَهَا سَلَامَةٌ، خَيْرٌ مِنْ بَيْتٍ مَلآنٍ ذَبَائِحَ مَعَ خِصَامٍ» (أم ١٧: ١)، وهي آية تحمل تعبيرًا بسيطًا يُمكننا جميعًا فهمه، فهي تعني ببساطة أنه يمكننا أن نأكل عيشًا وملحًا، ويكون بيتنا مليئًا بالسلام، أفضل من أن نأكل أكلًا دسمًا وبيتنا مليء بالخصام.

ففي وسط الخصام لا يستطيع الإنسان أن يتمتَّع بشيء، لا بذبائح ولا بقصر ولا بصُحبة. لذلك ما أجمل البيت الذي يحلُّ فيه السلام، ومن أجل ذلك كانت أولى وصايا ربنا يسوع المسيح لتلاميذه: «وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقُولُوا أَوَّلًا: سَلَامٌ لِهذَا الْبَيْتِ» (لو ١٠: ٥).

٢. في الكنيسة:

وهي المحطة الثانية لمُمارسة السلام، فنجد أنه من أكثر الكلمات تكرارًا داخل الكنيسة، كلمة "Ⲓⲣⲏⲛⲏ ⲡⲁⲥⲓ إيريني باسي" (بمعنى السلام لجميعكم). ويردُّ الشعب على الكاهن قائلًا: "ولروحِكَ أيضًا".

وأكثر صلاة تتكرَّر في طقوسنا عندما نُصلِّي في الأواشي من أجل سلام الكنيسة قائلين: "اذكر يا رب سلام كنيستك، الواحدة الوحيدة المقدَّسة الجامعة الرسولية، هذه الكائنة من أقاصي المسكونة إلى أقاصيها ... احفظها بسلام".

كذلك تُصلِّي الكنيسة قائلة: "السلام الذي من السموات أنزله على قلوبنا جميعًا، بل

وسلام هذا العمر أيضًا". إنَّ الكنيسة تُصلِّي يوميًّا من أجل سلام العالَم، من أجل أن يحلَّ السلام على الأرض، لكن سلام العالَم يبدأ بالسلام الصغير الذي في قلب الإنسان.

ونُلاحظ أن أكثر كلمة تتكرَّر في الأديرة عندما يتقابل الرهبان هي كلمة "سلام". فيقول أحدهم: "سلام"، فيرد الآخر: "سلام ونعمة".

من القصص الجميلة التي وردت في تاريخ الكنيسة عن الأنبا بولا أوَّل السوَّاح،، أنه عندما زاره الأنبا أنطونيوس، كان أول سؤال سأله الأنبا بولا للأنبا أنطونيوس هو: ماذا عن سلام الكنيسة؟

فالقدِّيس الأنبا بولا الذي عاش في السياحة والوحدة، وكانت له سنوات كثيرة بعيدًا عن هذا العالَم وأخباره، كان أول شيء يسأل عنه هو سلام الكنيسة، حتى إنه اهتم بسؤال الأنبا أنطونيوس عن هذا السلام.

٣. في المجتمع:

المجتمعات التي نعيش فيها اليوم صارت ممتلئة بالمتاعب والصراعات والمشكلات والخصومات بين الناس، وبالتالي صارت تحتاج إلى سلام، لكن هذا السلام لا يُبنَى في المجتمع إلَّا بعد أن يُبنَى في القلوب أوَّلًا، ثم البيت، ثم الكنيسة، ثم بعد ذلك المجتمع. وصار السلام من واجبات المواطنة، بمعنى أنه واجبٌ على المواطن في أيِّ مجتمع أن يصنع سلامًا. فكما إنَّ للمواطن حقوقًا، عليه أيضًا واجبات. وبناءً على ذلك، فإنَّ المواطن الذي يتخلَّى عن مُشاركته في سلام مجتمعه، يُعتبَر مُقصِّرًا في واجبات المواطنة.

لذا كُنْ حريصًا على حفظ السلام مع مَنْ حولك حتى لو كلَّفك ذلك التنازُل عن بعض حقوقك، أو احتمال بعض الإهانات. فالسلام أغلى من أيِّ شيء مادي، لأنك لو خسرتَ سلامك، ستخسر علاقاتك. يقول القدِّيس بولس الرسول: «فَلْنَعْكُفْ إِذًا عَلَى مَا هُوَ لِلسَّلَامِ، وَمَا هُوَ لِلْبُنْيَانِ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ» (رو ١٤: ١٩).

ثانيًا: كيف نصنع سلامًا مع الآخرين؟

١. اللسان الحلو والكلمة الطيِّبة:

من العجب، يا إخوتي الأحبَّاء، أنَّ الإنسان دائمًا ما يختار ملابسه بألوانها وأشكالها وأنواعها المختلفة، ولكن من الأكثر عجبًا أنه لا يستطيع أن يختار ألفاظه وكلماته.

يقول سِفْر النشيد عن العروس (النفس البشرية): «شَفَتَاكِ يَا عَرُوسُ تَقْطُرَانِ شَهْدًا» (نش ٤: ١١). وقد نَصِف شخصًا ما في تعبيراتنا الشعبيَّة ونقول عنه: "فلان لسانه بينقَّط سُكَّر"، فيا بخت وطوبى للإنسان الذي لسانه ينقَّط سُكَّر في بيته، وفي مجتمعه، وفي وسط أصدقائه. لذلك فإنَّ أول وسيلة تستطيع أن تصنع بها سلامًا، هو لسانك الحلو أو كلماتك الطيِّبة. ولأن اللسان الحلو يُراعي الذوق واللياقة في الحديث مع الآخرين، فنجد صاحبه دائمًا مُسالمًا للآخرين.

٢. النظرة الوديعة وتجنُّب الغضب:

تجنَّب الغضب، وليكن لكَ النظرة الوديعة، فقد يقولون عن شخصٍ ما: "فلان عينه بطَّلع شرار"!! رغم أنَّ العين رقيقة خلقها الله لكي يرى الإنسان بها أخاه الإنسان، ولكن هذه النار أو هذا الشرار هو نار الغضب! فلن تستطيع أن تَنْعَم بالسلام داخل نفسك وأنت في خصامٍ وغضب مع أيِّ إنسان. فاعلم، أيها الأخ الحبيب، أنَّ غضبك «لَا يَصْنَعُ بِرَّ اللهِ» (يع ١: ٢٠)، ولا يُحقِّق راحة الله في قلبك.

وقد علَّمنا الكتاب المقدَّس: «لِيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُسْرِعًا فِي الِاسْتِمَاعِ، مُبْطِئًا فِي التَّكَلُّمِ، مُبْطِئًا فِي الْغَضَبِ» (يع ١: ١٩). فاستمع جيِّدًا لمَنْ يتحدَّث إليك، وقبل أن تتكلَّم فكِّر جيِّدًا، وقبل أن تغضب فكِّر مرَّةً أُخرى، لئلَّا غضبك يُفسِد أمورًا جيِّدة في حياتك.

يقول معلِّمنا بولس الرسول: «إِنْ كَانَ مُمْكِنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ» (رو ١٢: ١٨)، ودائمًا يُقال: إنَّ الغضب كالنار، ولا تُطفأ النار بالنار، النار تُطفأ بالماء. لذلك إن وجدتَ مَنْ أمامك بَدَا وكأنه في حالة غضب، فلا تستمر في المجادلة معه لئلَّا تدخل أنت أيضًا في حالة غضب. فتوقَّف وابدأ في استخدام وداعتك وحلمك ونظرتك الوديعة.

٣. المغفرة والمُسامحة:

المغفرة دليلٌ على وجود المسيح داخل القلب، فنحن نغفر لأنه من شروط حصولنا على الغفران أن نغفر نحن أيضًا. وعدم الغفران يجعل في النفس شعورًا بالمرارة الشديدة تجاه مَنْ أساء إلينا. قد تجد إنسانًا يقول: "إني لا أستطيع النوم بهدوء أو بسلام، فبداخلي مرارة شديدة تجاه فلان. هذا الأمر يجعلني غير مرتاح، ليتني أشعر بالراحة والسلام". طالما يوجد عدم غفران، لا يوجد سلام ولا راحة.

والقدِّيس مار إسحق يقول: "إن لم تكن صانعًا للسلام، فعلى الأقل لا تكن مُثيرًا للمتاعب". فصُنع السلام هو بداية السلوك المسيحي. فتعلَّم صُنْع السلام في بيتك، في كنيستك، في مجتمعك، في علاقاتك بين أصدقائك.

إنَّ كلمة السلام تعني سَعْي الإنسان الدائم لأجل تحقيق هذه الحقيقة في حياة الآخر، وهي أنَّ الله يُحبُّه. إنه محبوب الله، فإن شعر الإنسان بهذه المحبة الإلهيَّة، سيعيش في سلام.

فلْيُعطِنا مسيحُنا أن تكون حياتنا في هذا السلام، ونكون صانعي السلام: «طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ» (مت ٥: ٩).

البابا تواضروس الثاني

****

دير القدِّيس أنبا مقار **صَدَرَ حديثًا**

لقداسة البابا المعظَّم الأنبا تواضروس الثاني

كتاب

كنيستي الجميلة

(وهو عبارة عن مقالات سبق نشرها تباعًا في افتتاحية مجلة مرقس، ابتداءً من عدد يناير ٢٠٢٣م إلى عدد ديسمبر ٢٠٢٣م)

- **وقد كتب قداسته في تقديم الكتاب ما يلي:**

[في كنيستنا القبطية الأرثوذكسية تُراثٌ دَسِم ومتنوِّع، يجعل منها وجه المسيحيَّة المُشرق وسط الكنائس، سواء في الشخصيَّات أو المُمارسات أو العبادات، وهي كثيرة جدًّا، وتحتاج إلى شروحات ودراسات عديدة ... أرجو لكم متعة ومعرفة روحيَّة مع هذه الصفحات، ونعمة المسيح تشملنا جميعًا].

الكتاب ٩٠ صفحة (من القَطْع المتوسِّط)

****

مقال للأب متى المسكين

يونان والمسيح[1]

رأى الربُّ يسوع في يونان مَثَلًا مُصغَّرًا ليُبرهن به على موته وبقائه في الأرض – أي في القبر – ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، وبرغم هذا الموت في حدوده النهائية التي بعدها لا يصبح للجسد أيَّة فرصة للحياة حيث ينتن ويضرب فيه العفن؛ تصبح القيامة التي قامها الرب من الموت في اليوم الثالث ليست استمرارًا لحياةٍ سابقة، بل حياة جديدة بجسدٍ جديد ليس فيه بعد عناصر الموت، إذ يكون قد غلب الموت وأنهى على سلطانه في الجسد العتيق.

١ ـ **ويونان** بن أَمِتَّاي ــ كما يقول الكتاب ــ رجل عبراني من سبط زبولون، عاش ما بين سنة ٨٥٠ ــ ٨٢٠ ق.م، من مدينة جتّ حافر في تخوم زبولون. وهو الذي تنبَّأ أيام يربعام الثاني ملك إسرائيل، وأَمَصْيا وعزريا مَلِكَي يهوذا. وهو محسوبٌ من طبقة الأنبياء، مع ناحوم وعوبديا، الذين نادوا بدينونة الشعوب كأُمم. على أن قرعة سُكنى زبولون في أرض كنعان، كانت بحسب نبوَّة يعقوب إسرائيل قبل موته: «زَبُولُونُ، عِنْدَ سَاحِلِ الْبَحْرِ يَسْكُنُ، وَهُوَ عِنْدَ سَاحِلِ السُّفُنِ، وَجَانِبُهُ عِنْدَ صِيْدُونَ» (تك ٤٩: ١٣). وهذا ما حدث بالفعل على يد يشوع بعد هذه النبوَّة حينما أَسكَن سبط زبولون هناك. والمعنى أنَّ يونان كان يسكن بجوار البحر.

٢ ـ أما **نينوى** فهي مدينة يصفها الكتاب أنها مدينة عظيمة، وهي عاصمة أشور ــ (العراق الآن) ــ وبلاد أشور هي التي أسَّسها أشور من أحفاد كوش بن حام بن نوح. وكانت مدينة جميلة، مُحيطها ــ كما يقول الكتاب ــ مسيرة ثلاثة أيام. وهذا معناه أنَّ مساحتها ٩٠ ميلًا مربعًا، وقد عمَّرت ١٥٠٠ (ألفًا وخمسمائة) سنة. والذي بناها هو الملك تَغْلَث فَلاسِر الأول ابن شَلْمَنْأَسَر الأول، وهو أول مَنْ ذكره الكتاب من ملوك الأشوريين. وضعفت المدينة جدًّا، ولكن جدَّدها

(١) نُشِرَ هذا المقال لأول مرة في عدد فبراير عام ٢٠٠١م.

تَغْلَث فَلاسِر الثالث. وهذا الملك هو الذي أذلَّ يهوآحاز ملك يهوذا، وفقْح وهوشع مَلِكَي إسرائيل، ورصين ملك دمشق، وحيرام ملك صور، ومرودخ بلادان؛ وهاجم إسرائيل وسَبَى السبطين ونصف الذين كانوا عَبْرَ الأردن، وأَسكنهم أرضه وقد فَنَوا هناك وزال اسمهم إلى الأبد. ثم هاجم شلمنأسر الخامس إسرائيل وأذلَّ هوشع ملك إسرائيل وأودعه السجن، وسَبَى إسرائيل وأسكنهم في مدنه (٢مل ١٧:١ ــ ٥) سنة ٧٢١ ق.م.

وانتقام الرب من أشور يصفه صَفَنْيا حيث سقطت. فبعد ما استخدم الله أشور لتأديب إسرائيل كعصا تأديب، إلَّا أنه عاد وكسر هذه العصا: «لأَنَّهُ لَا تَسْتَقِرُّ عَصَا الأَشْرَارِ عَلَى نَصِيبِ الصِّدِّيقِينَ» (مز ١٢٥: ٣)، «وَيْلٌ لأَشُّورَ قَضِيبِ غَضَبِي، وَالْعَصَا فِي يَدِهِمْ هِيَ سَخَطِي. عَلَى أُمَّةٍ مُنَافِقَةٍ أُرْسِلُهُ، وَعَلَى شَعْبِ سَخَطِي أُوصِيهِ، لِيَغْتَنِمَ غَنِيمَةً وَيَنْهَبَ نَهْبًا، وَيَجْعَلَهُمْ مَدُوسِينَ كَطِينِ الأَزِقَّةِ ...» (إش ١٠: ٥ – ١١).

أمَّا كون الله يُرسِل يونان كنبي إنذار ليُنبئ نينوى (وهي مدينة أُممية لا تعرف شمالها من يمينها) بخرابها إذا لم تَتُبْ، فكان هذا صورة واقعية للأُمم في تدبير الله الذي أرسل ابنه ليدعو أُمم العالم التي لا تعرف شمالها من يمينها لكي يتوبوا وتُمحَى خطاياهم. والمَثَل محبوكٌ غاية الحَبْك، لأنه كما تابت نينوى بمُناداة يونان باسم الله؛ هكذا دخلت الأُمم في عصر توبتها بالمُناداة باسم الرب يسوع المسيح.

ولكن لم يكن مجَّانًا أن قبلت نينوى توبتها، إذ دفع يونان ثمن هذه المُناداة من حياته ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ قضاها في قفص الموت في باطن حوت. يقول القدِّيس جيروم عنه: إنَّ حلقومه واسعٌ جدًّا كحلقوم الموت، وهو من فصيلة تُسمَّى "زافا" من أكبر أنواع الحيتان المعروفة، أرسله الرب خصِّيصًا لكي يُشبه الهاوية.

والعجيب أنَّ يونان بعد أن تقبَّل رسالة الكرازة بهلاك نينوى إذا لم تُكمِل توبتها في المسوح والرماد والصوم حتى التصاق البطون في الأرض، حاول الهرب؛ فكان هروبه لحياته من وجه الرب ــ لمرارة الرسالة ــ معناه الحُكْم بالإعدام على نينوى، فلم يسمح له الله. وكأنَّ محاولة هروب يونان قريبة الشَّبَه من جثسيماني التي أراد فيها الرب، كإنسانٍ، أن يُجيز الآب عنه هذه الكأس لشدَّة مرارتها، فلم يسمح. وكان أن تمَّت إرادة الآب

وقَبِلها الابن راضيًا. وكما كلَّفت جثسيماني الركوع والدموع والحزن الشديد حتى الموت، كلَّفت يونان محاولة هروبه أن يُلقَى أخيرًا في البحر كمسخوطٍ عليه من قِبَل الله، ورَضِيَ يونان بذلك؛ بل هو الذي طلب أن يلقوه في البحر ليهدأ زئير الموت الذي نَوَى أن يبتلعهم.

كانت رحلة يونان إلى أرض ترشيش، التي هي كيليكيَّة في آسيا الصغرى، التي نَوَى الاختباء فيها على بُعْد ٢٥٠ ميلًا. والعجب أنه لَمَّا قذفه الحوت على شاطئها، أعاد الله أمره ثانيةً، إذ كان له بالمرصاد. فالربُّ يصنع أمرًا كان مقضيًّا به على الأرض، ولا رادَّ لقضائه، مهما تفنَّن الإنسان في هروبه. وكان على يونان أن يسير على رجليه حتى يصل إلى نينوى، وهي مسافة الـ ٢٥٠ ميلًا بعينها.

ونادَى يونان، وتابت نينوى. ولكن اهتم الكتاب بأن يصف بدقة شروط التوبة، لأن هذا هو بيت القصيد من صوم نينوى ومن موضعه قبل الأربعين المقدَّسة بأسبوعين.

يقول الكتاب:

+ «فَآمَنَ أَهْلُ نِينَوَى بِاللهِ وَنَادَوْا بِصَوْمٍ وَلَبِسُوا مُسُوحًا مِنْ كَبِيرِهِمْ إِلَى صَغِيرِهِمْ. وَبَلَغَ الأَمْرُ مَلِكَ نِينَوَى، فَقَامَ عَنْ كُرْسِيِّهِ وَخَلَعَ رِدَاءَهُ عَنْهُ، وَتَغَطَّى بِمِسْحٍ وَجَلَسَ عَلَى الرَّمَادِ. وَنُودِيَ وَقِيلَ فِي نِينَوَى عَنْ أَمَرِ الْمَلِكِ وَعُظَمَائِهِ قَائِلًا: "لَا تَذُقِ النَّاسُ وَلَا الْبَهَائِمُ وَلَا الْبَقَرُ وَلَا الْغَنَمُ شَيْئًا. لَا تَرْعَ وَلَا تَشْرَبْ مَاءً. وَلِيَتَغَطَّ بِمُسُوحٍ النَّاسُ وَالْبَهَائِمُ، وَيَصْرُخُوا إِلَى اللهِ بِشِدَّةٍ، وَيَرْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ وَعَنِ الظُّلْمِ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ؛ لِعَلَّ اللهَ يَعُودُ وَيَنْدَمُ وَيَرْجِعُ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ فَلَا نَهْلِكَ"» (يونان ٣: ٥ ــ ٩).

والآن، أيها الإخوة، أُصارحكم القول إني في حياتي لم أرَ ولم أسمع عن منهج توبة صادقة وأمينة وشُجاعة، شَجاعة مَنْ كأنه يواجه شخص الموت لكي يصرعه ويرميه أرضًا ويدوسه بقدميه؛ شجاعة هي بعينها شجاعة الارتفاع على صليب الموت ليُحدر الموت إلى التراب ويدوسه بقدميه. ما أعجب هذا الملك، ملك نينوى، الذي أتاه الله هذه النعمة وهذه الشجاعة والجرأة التي تحدَّى بها إنذار الموت.

عجبي على حكمة هذا الملك النبي، كيف أَمَرَ أنَّ الأطفال الرُّضَّع يُرفَع عنهم الثدي ليصل صراخهم ربَّ السماء، وتُمنَع حتى البهائم عن الأكل والشُّرب ليكون صراخها أعلى

من صراخ الإنسان ليدخل أُذُنَي ربِّ الرحمة. وكيف ساوَى نفسه بعبيده بنزوله عن عرش مُلكه بلبس المسوح من شعر الماعز الخشن والارتماء على الأرض، حتى يراه عبيده فيتسابقوا بالتمثُّل به في لِبْس المسوح والانبطاح في الرماد والصراخ إلى الله، وصارت توبتهم بأمر مَلَكي: عن الظلم والغش والسرقة وإتيان الشر والإثم. مَنْ سمع مثل هذا؟ مَنْ رأى ملكًا يقود شعبه في الصراخ إلى الله وطلب التوبة بلبس المسوح والتمرُّغ في الرماد؟

لم تكن خشيتهم من موت، لأنهم بعملهم هذا فاقوا ألم الموت، ولكن كانت خشيتهم من الله الذي في يده الموت والحياة. نظر الله من السماء فرأى المدينة العظيمة نينوى منبطحة على الأرض، يقود تذلُّلَهم ملكُهم الذي كان السابق في ذُلِّه ومُسحه وتمرُّغه في التراب، والصراخ يزلزل الأرض، وقد بلغ السماءَ صراخُ ملكٍ وشعب وأطفال رُضَّع وبهائم. الكلُّ، بنفسٍ واحدة، يطلب الرحمة. يقول الكتاب: «فَلَمَّا رَأَى اللهُ أَعْمَالَهُمْ أَنَّهُمْ رَجَعُوا عَنْ طَرِيقِهِمْ الرَّدِيئَةِ، نَدِمَ اللهُ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي تَكَلَّمَ أَنْ يَصْنَعَهُ بِهِمْ، فَلَمْ يَصْنَعْهُ!» (يونان ٣: ١٠).

ووَضْعُ صوم يونان الذي حتَّمته الكنيسة لكي يكون قبل الأربعين المقدَّسة، هو إلهامٌ بالروح تُشير إليه كلمة الإنذار التي أعطاها الله لنينوى أنَّ بعد أربعين يومًا تنقلب نينوى.

ويقينًا أنَّ الأربعين المقدَّسة التي صامها المسيح، صامها عن العالم، حتى يرفع عنه حُكْم انقلاب كان قد صدر من الآب بخصوص العالم، ونحن لم نَدْرِ.

أيها الأحبَّاء، إنَّ من قصة صيام يونان (نينوى)، ومِن إحكام وضعه قبل الأربعين المقدَّسة؛ نُدرك بوضوح قيمة الصوم، سواء لدى الله الذي يُجازِي، أو الإنسان الذي يتوب. فليست توبة بلا صوم إنْ كان حقًّا بخوف الله وبصراخ صادق من القلب، فإنه قادر أن يفتح باب الرحمة لتتدفَّق إحسانات الله بدل عقاب التأديب. فهو الإنقاذ الوحيد من حرج موقف الخاطئ حينما يسمع بأُذُنَي قلبه أنَّ صبر الله قد فرغ وتعدَّت الخطايا حدود اللياقة، خاصة إنْ كان الإنسان قد تزيَّا بزيِّ الأتقياء، فلم يصدر عنه إلَّا الخطايا والعيوب تحت اسم التقوى الكاذبة وصورة أعمالها وأقوالها التي يُصدِّقها الناس ويمدحونها، بشبه نينوى العظيمة.

ولكن، وقبل أن يتحرَّج موقف الإنسان من الله ويصبح إمَّا صومًا للتوبة وإلَّا فسيكون الرفض والهلاك؛ فإنَّ الصوم مُعينٌ للتقوى، لأنه يُلهِب قلب العابد ليُشدِّد من وقفة الصلاة وذرف الدموع وقَرْع الصدر ولذَّة السجود؛ أمورٌ كلها عناصر منفتحة على سيرة

القدِّيسين، ومحسوبة من أعمالهم التي غلبوا بها العالم وعَبَروا فرحين منتصرين، وتركوا لنا مسيرتهم مُعطَّرة بأعمال النُّسك جميعًا وعلى رأسها الصوم. فالصوم بمثابة مَنْ يقتطع لحمه ودمه ويُقدِّم ذبيحة تستحسنها "ملائكة الصوم" التي جاءت فَرِحة تخدم المسيح بعد أن أكمل صوم الأربعين، وتركه الشيطان خازيًا.

وقد حَسِبَ المسيح أنَّ صوم الجسد توطئة لازمة لقهر الشيطان، إذ بعد ما أكمَلَ صومه جاع، وكأنَّ الجسد بجوعه أعطى فرصة للشيطان أن يتقدَّم بعد أن كان ممنوعًا من الاقتراب طيلة الأربعين؛ إذ كان الصوم حَدًّا من نار يُرعب الشيطان. فكان جوع الجسد، وكأنَّ طلب الطعام كان منفذًا في حدِّ النار نفذ منه العدو ليُمارِس حقده وتحدِّيه، فما أصاب. لذلك أوصى المسيح أن «"صُومُوا" (وَصَلُّوا) لِكَيْ لَا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ».

عجيبٌ حقًّا، يا إخوة، أن يترك لنا المسيح مثال صومه لنسير على إثر خطواته لننال قوةً وانتصارًا. وهل يمكن أن نسير خلفه حاملين الصليب إلَّا بعد أن نجوز خبرة صومه وجهاده وننال قوَّةً ونصرة من حياته؟ إنَّ صوم المسيح جزءٌ لا يتجزَّأ من صعوده على صليب موته وفدائه. فإن كانت القيامة سبقها موته، فموته سبقه صيامه.

ثم أَليس صوم المسيح يُخزي القائلين بأنَّ الصوم عملٌ سلبي، فما صام المسيح لكي يضبط الجسد، وما صام ليتغلَّب على شهوات أو انحرافات؛ ولكنه صام بتدبير الآب، لأنه لم يذهب إلى البريَّة ليصوم بمشيئته، ولكن يقول الكتاب بوضوح وصراحة: «ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ ...» (مت ٤: ١)، لا هروبًا من تجربة إبليس، بل لكي يواجه تجربة إبليس. فكان صومه سلاحًا إيجابيًّا جبَّارًا كقاعدة انطلق منها ليواجه تجارب إبليس.

بهذا الوضع قدَّم المسيح لنا الصوم كقاعدة إيجابية نواجه بها تجارب إبليس ونتحدَّاه: «أَمَّا هذَا الْجِنْسُ فَلا يَخْرُجُ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ» (مت ١٧: ٢١)، لأن المسيح يَعْلَم أنه بالصوم يرتقي العقل الواعي فوق الجسد ومُشاغباته، فيكون العقل مُستعدًّا أن يحتمل أشدَّ الضربات وأسوأ الحوادث المُفاجئة التي يسوقها العدو لانهزامنا، ولكي يقف الإنسان صاحيًا كأسدٍ لا يهتز. فالصوم انحيازٌ كُلِّي للوعي الروحي، بل هو انحيازٌ لقُوَى الروح ومشورة السماء. وبدونه يستحيل أن يقول إنسانٌ إني قد صُلِبتُ مع المسيح. فالذي يَقْبَل أن يُصلَب يكون قد سَبَق وقدَّم الجسد على مذبح الصوم.

و"أنا" الإنسان يستحيل أن تَقْبَل أن تُصلَب مع المسيح إلَّا بعد أن تتحرَّر الأنا من عبودية الجسد، وهذا لا يتمُّ إلَّا بالصوم. لأن الذي يقول: "أنا صُلِبتُ مع المسيح"، فهذا يعني أنه قد مات بالجسد العتيق، والجسد العتيق لا يمكن أن يذوق الموت إلَّا بالصوم.

لذلك يُحسَب الصوم في أقوى حالاته أنه شريك القيامة، أو هو قوَّة الذين يعيشونها.

ثم ما السرُّ المُخْفَى وراء الصوم الشديد وضياع قوَّة الجسد؟ هذا نعرفه بصورةٍ خاصة جدًّا من ملاك إيليا الذي استحضر له كعكة وكوز ماء ليأكل بعد أن سار يومًا كاملًا بلا أكل ولا شُرب، إلى أن جاء وجلس تحت الرتمة. فلما أكل الكعكة وشرب من الكوز نام من الإنهاك، فمسَّه الملاك وأيقظه واستحضر له كعكة ثانية وكوز ماء وقال له: قُمْ وكُلْ لأن المسافة كثيرة عليك. فقام وأكل وشرب، وسار بقوَّة تلك الأكلة. ولكن، على الوجه الأصح، أراد الكتاب أن يقول: إنَّ بقوَّة هذا الصوم سار إيليا أربعين نهارًا وأربعين ليلة حتى بلغ جبل حوريب (١مل ١٩: ٤ – ٩).

وهكذا نأتي أيضًا إلى سرِّ قوَّة صوم الأربعين يومًا والأربعين ليلة، وما وراء هذا الصوم الأربعيني من قمة منجزات الإنسان: الصوم وهباته وبركاته؛ إذ بالنهاية رأى إيليا الربَّ وتكلَّم أمامه وأخذ توبيخًا وأخذ رسالة.

وكأنما أُعطِيَ الصوم للإنسان ليرى به وجه الله ويسمعه.

ولولا أن انحمق شعب إسرائيل وطلب خبزًا في البريَّة وماءً لَسَارَ الأربعين سنة بأكلة الفصح حتى دخل أرض الميعاد. فالذي سار أربعين يومًا وأربعين ليلة بأكلة وشربة ماء، لا يصعب عليه وهو تحت يد الله أن يسير بها الأربعين سنة. ويتمُّ بها قول سِفْر الأمثال: «بَرَكَةُ الرَّبِّ هِيَ تُغْنِي، وَلَا يَزِيدُ مَعَهَا تَعَبًا!» (أم ١٠: ٢٢).

وفي الحقيقة، يا إخوة، لو فحصنا بالروح سرَّ قيام الإسقيط حتى اليوم ودوامه، وما وراء ما خلَّفه لنا شيوخه الأماجد من كنوز تركوها لنا ميراثًا نعتزُّ به؛ لوجدنا الصوم هو الكنز الأكبر، تركوه لنا مختبئًا في بريَّة، فبِعْنا العالم واشترينا البريَّة لنفوز بالكنز!

(عام ٢٠٠٠م).

بمناسبة
صوم نينوى

التوبة[1]

❁ ❀ ❁

دم المسيح يُطهِّرنا من كلّ خطية:

قرأتُ آية أعجبتني في رسالة العبرانيين (٤: ١): «فَلْنَخَفْ، أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدٍ بِالدُّخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ، يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ». لماذا رَفَض الله شعبه الذين تركوا مصر وتتبَّعوه، وتركهم يموتون في البريَّة؟ الكتاب المقدَّس يُجيب: "لعدم الإيمان". لقد أعطاهم الله الناموس، ولكن الناموس لا يستطيع أن يُطبِّق الوصية، هو فقط لمعرفة الخطية. هو يقول لنا: إننا خطاة عاجزون. الناموس يحكم على الإنسان أنَّه مُستحقٌّ الموت، ولكن ليس عنده قوَّة للتغيير والغفران.

أمَّا الذي يُعطي الإنسان القوَّة على التغيير وغفران الخطايا هو دم المسيح، لأنه دمٌ إلهي سُفِك، ليس ليغفر خطايانا فقط، بل خطايا كلِّ العالم (١يو ٢: ٢). ولكن لمَن هو يغفر الخطايا بالضبط؟ للذي يقول: أنا خاطئ، للذي يشعر أنه لا يستحق المغفرة؛ أمَّا إن دافعتَ عن نفسك، وزكَّيتَ طريقك، فاعلم أنك سقطتَ من نعمة الغفران.

كُلُّنا مذنبون وأعوزنا مجد الله: «الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا» (رو ٣: ١٢). نحن خطاة وتحت الآلام، وليس لنا دالة لنرفع وجوهنا أمام الله. ولكن ذبيحة المسيح هي غطاء cover على وجوهنا وعلى كياننا، تخفي شرورنا وتُغطِّي خطايانا. الله الآب ينظر إلينا من خلال المسيح ابنه الحبيب الذي به سُرَّ. إذن، نحن من خلال برِّ المسيح نستطيع أن نقف أمام الله.

ولكن، كيف نُقابل الله؟ طريقنا هو القلب المُنكسر والمُنسحق الذي لا يُرذله الله.

باب التوبة هو مدخلنا:

باب التوبة هو مدخلنا لقلب الآب ولدخول الملكوت. فبمجرد أن يُقنعك الروح القدس

---

(١) عظة رقم ١٢ ألقاها المُتنيِّح القمص كيرلس المقاري بتاريخ ٢٠/ ١٢/ ٢٠٠٧م (تذكار نياحته ١٣ فبراير).

أنك مُخطئ، قُمْ سريعًا ، وأنت في أيِّ موضع توجد فيه، واقرع صدرك، وقُلْ: "سامحني يا رب". المرأة الخاطئة لم تَقُلْ شيئًا، أغلقت فمها غير معترضة على الحُكْم، فاعتُبِر هذا، في نظر المسيح، أنها مُعترفة ومُقِرَّة بخطاياها وغير مستحقَّة للموت. كما قال اللِّص اليمين: «أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ (جوزينا)» (لو ٢٣: ٤١)، فسقطت خطاياه. فعلامة التوبة الحقيقية، هي أنَّك تصمت ولا تفتح فاك عندما تُتَّهم. إذا كان أخوك أخطأ في حقِّك، ولم تردَّ، تُرفَع عنك الخطية، وتُوضَع على الآخر الذي يتَّهمك. لماذا؟ لأن صمتك يُحسَب اعترافًا علنيًّا.

فماذا تريد أنت؟ أن تعيش حياة توبة أمينة مُخلِصة، وهي حياة سهلة بسيطة، مملوءة رحمة ومحبة؛ أم تُفكِّر طوال يومك في خطايا الآخرين!

سيأتي يوم سيسمع فيه كلُّ الذين في القبور صوت ابن الله (انظر: يو ٥: ٢٨). تُرى ماذا سوف تسمع أنت؟ فإذا كنتَ ارتكبتَ أمرًا وفعلتَ شيئًا لم تَتُب عنه، ماذا سوف تقول وكيف سترُدُّ؟ انتبهوا جيِّدًا، ففي يوم من الأيام ستسمع الصوت، وستتذكَّر كلَّ المرات التي كان يدعوك فيها الرب، وأنت تُغلق أُذُنيك وترفض السَّمْع.

أنت الآن في مُقتبل العمر، ما تزال بصحةٍ جيِّدة، ولكن سيأتي يوم حين تتقدَّم في العمر، ولا تستطيع أن تفعل ما يمكنك أن تفعله الآن. فتصوَّر كم سيكون أسفك حين تذهب السنون ولا ينفع معها الندم. هذه هي طبيعة الحياة. فلا تظنَّ أنك ملكتَ الدنيا، لأنه سيأتي وقت تشتهي فيه يومًا من أيام شبابك ولن تجد. فاغتنم الفرصة الآن قبل ضياعها.

التوبة من كلِّ القلب وليست توبة ظاهرية:

هذه الساعة آتية بالتأكيد، هي ستأتي دون إرادتنا. كلُّ الأشياء قد تتركَّز في ساعة الموت، فمَنْ منَّا لن يموت؟ الشيطان يحاول أن يُشغلنا عن هذه الساعة، ولكن الغريب هو أننا فعلًا ننساها ونحاول أن نتناساها، وإذا جاء ذِكْرها: يقولون: "بعد عمرٍ طويل"، "لنتحدث في موضوعٍ آخر!". القدِّيس الأنبا أنطونيوس عندما رأى أباه ميتًا، قال له: "لقد خرجتَ من الدنيا دون إرادتك، أمَّا أنا فسأخرج بإرادتي. أين قوَّتك؟ أين مجدك؟ أين سلطانك"؟ ثم أسرع خارجًا إلى البريَّة.

عليك تقديم توبة يومية أمام الرب، ليست توبة ظاهريَّة شكليَّة، وكلامًا سطحيًّا؛ ولكن بإحساس حقيقي أنَّك أخطأتَ إلى أبيك السماوي ولستَ مُستحقًّا لبنوَّتك له. هنا الرب

يحتضنك ويردُّك لمرتبتك التي سقطتَ منها.

لا تتذمَّر عندما يسمح لك الرب بتجارب. فهو يَزِن بميزانٍ دقيق لا يختلُّ حياة كلِّ واحد منَّا، ولا يَدَعنا نُجرَّب فوق احتمالنا، بل سيجعل المنفذ مع التجربة (انظر: ١كو ١٠: ١٣).

اقطع كلَّ ما يربطك بالعالم ولا تُشفق. إذا فعلتَ هذا، ستأخذ مائة ضعف عن كلِّ ما تركتَ. لا تحمل همَّ المستقبل، فالمسيح هو الضامن ليومك ولغدك. أنت قد سلَّمتَه حياتك، وهو لن يتركك أو يتخلَّى عنك. ثبِّت عينيك على خلاصك. لقد كان أبونا متى المسكين يقول لنا: "ما الفرق بيني وبينكم؟ هل أنا من طبيعةٍ أخرى؟ لا. ولكن أنت تنظر هنا وهناك، أمَّا أنا فأنظر إلى السماء دائمًا".

نحن أقوياء بالمسيح. نعم، نحن خطاة؛ ولكن مُتبرِّرون بدم المسيح. فالخطية موجودة، ولكن المسيح يغسلنا ويُطهِّرنا منها. كم هي سعادتنا عندما نشعر أنَّ المسيح يمسك بأيدينا، ويقول لنا: "لا تخافوا، سأعبُر بكم الهوَّة العظيمة التي بين الغَنِي ولعازر". الرب إلهنا معكم.

«إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ»[٢]

أنواع الكوارث:

إنجيل قدَّاس اليوم[٣] يتحدَّث عن أنواع الكوارث التي تحدث للناس:

أوَّلًا: الكوارث الاجتماعية: والمثال هنا هو الصدام الذي حدث بين الجليليين وبين الجنود الرومان داخل الهيكل. فكانوا يظنُّون أنَّ الهيكل سيحميهم. ومن أمثلة هذا النوع: الحروب، الاضطهادات العنصرية، النزاعات المسلَّحة ... إلخ.

ثانيًا: الكوارث الطبيعية: والذي يُقدِّمه الإنجيل هنا، هو سقوط برج على الناس، مِمَّا أدَّى إلى موتهم. والأمثلة على هذه الكوارث، هو كل ما ينشأ من الطبيعة وليس للإنسان يد فيها ،كالزلازل والأعاصير والأمراض والحرائق ... إلخ.

المسيح يرتفع بهذه الحوادث كلها، ولا ينسب سببها إلى خطيةٍ مُحدَّدة، فهو ينفي عن أولئك الذين قتلهم بيلاطس أنَّهم كانوا أكثر خطية من غيرهم. كما إنه لا يصف أولئك الذين قتلهم البرج

---

(٢) عظة رقم ٦٦، ألقاها المُتنيِّح القمص كيرلس المقاري بتاريخ ٢٠٠٩/٤/٢م.

(٣) وهو إنجيل القديس لوقا ١٣: ١- ٥.

أنهم أكثر شرًّا من الآخرين. ولكنه يستطرد ويقول: «إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ».

بعض المُلاحظات على الكوارث الحادثة:

وهنا يجب أن نُلاحظ بعض الأمور:

١- إنَّ الكارثة سواء كانت طبيعية أو اجتماعية، هي إنذارٌ إلهي سواء لك أو للجماعة أو للمدينة. فلو تواجَهْتَ مع كارثة، فلا تبحث عن سببها، بل عليك بالتوبة. ٢- إنَّ أيَّة كارثة تحدث يكون سببها الخطية؛ ولكن ليست خطية الذين ماتوا فقط، بل خطية الكل: خطية الذين ماتوا والذين نَجَوْا. وهذا يوضِّحه المسيح عندما قال: «أَتَظُنُّونَ أَنَّ هؤُلَاءِ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خُطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الْجَلِيلِيِّينَ»؟ بمعنى أنهم كانوا خطاة مثلهم تمامًا. ٣- إنَّ كلَّ كارثة هي بمثابة إنذار لكارثة أخرى قادمة أكبر منها ما لم تتبعها توبة. ٤- إنَّ التوبة قادرةٌ أن تُوقِف أيَّة كارثة في الحال. والذي يسترعي الانتباه هنا في قول المسيح: «جَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ»، إنَّ الخطر القادم سيكون أشدَّ ضررًا وسيشمل ويعُمُّ الجميع. فإذا كان البرج في سلوام قتل ثمانية عشر، فانظروا ماذا حدث في أورشليم حيث ارتُكِبَت فظائع يندَى لها الجبين. كان المسيح يرى الحاضر، ويرى القادم، ويعرف وسيلة الخلاص من القضاء المُحتَّم وقوعه. هنا تظهر التوبة أمامنا بجلاء كقوَّة عُظْمَى قادرة أن تُغيِّر قضاء الله وقوانينه المحتومة.

الله ليس عنده قوانين مُحتَّمة، هي فقط لنا. الله حرٌّ في قوانينه، والعجيب أنَّ الله، وهو صاحب القضاء وصاحب القانون، هو جاهزٌ ومستعدٌّ أن يُغيِّر جميع المُحتَّمات المُقدَّر وقوعها، إذا تاب الإنسان. فالله قادرٌ على تنفيذ الحُكْم، وفي نفس الوقت على رَفْع الحُكْم. الخطية تجعل الله يُنفِّذ الحُكْم، والتوبة تجعله يُلغيه.

انظروا إلى أيِّ مدى يُعوِّل الله علينا في قضائه وفي أحكامه، ولكن الشيء الأعجب من هذا كله، هو أنَّ الله يريد التوبة من الجميع.

اقرأوا المُحادثة الرائعة التي دارت بين إبراهيم والله، وكيف تشفَّع أبونا إبراهيم في شعب سدوم حتى لا يُحرَق بالنار، إذا وُجِدَ في المدينة عشرة أشخاص تائبين فقط (تك ١٨: ٣٢، ٣٣)!

ليت الله يُعطي جماعتنا الصغيرة أن تتوب من أجل مصر، وتُكرِّس حياتها بالصلاة والتقوى لكي يرفع الله غضبه ويتراءف علينا. هذه هي مسؤوليتنا الأولى.

المنهج المسيحي للخلاص:

والآن، ما هو موقفنا أمام إنجيل هذا اليوم؟

١- «بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ» (أع ١٤: ٢٢). لذا فإنَّ كلَّ كارثة تحدث للشخص المسيحي، هي أمرٌ داخل في اعتبار الله واعتبار **المنهج المسيحي للخلاص.** لذلك يقول بطرس الرسول: «لَا تَسْتَغْرِبُوا الْبَلْوَى الْمُحْرِقَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ حَادِثَةٌ، لأَجْلِ امْتِحَانِكُمْ، كَأَنَّهُ أَصَابَكُمْ أَمْرٌ غَرِيبٌ» (١بط ٤: ١٢).

٢- «فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ» (يو ١٦: ٣٣)، «تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً للهِ» (يو ١٦: ٢). إذن، ليس في الأمر جديدٌ، ونحن لهذا وُلِدنا، وإنْ مُتنا «فَلِلرَّبِّ نَمُوتُ» (رو ١٤: ٨).

٣- علينا أن نرى مسيحنا ونتعلَّم منه. ففي أَوْج محنته وآلامه وصَلْبه، طلب من الآب أن يغفر خطايا صالبيه، فكما لو أنَّه يقول للآب: "لا تجعل صليبي وموتي سببًا لدينونتهم، فأنا مصلوبٌ من أجلهم".

هذا هو **منهجنا المسيحي،** الذي علينا أن نتبعه، وخصوصًا أمام مَنْ يُسيء إلينا أو يضطهدنا. لا بدَّ لنا أن نصفح عنهم. مع العِلْم أنَّ الغفران ليس عملية هيِّنة؛ ولكننا نصفح على أساس ذبيحة المسيح الذي مات من أجلنا. فإذا كان المسيح قد غفر لي بدمه كلَّ هذه الخطايا؛ فكيف لا أغفر أنا لأخي بضع إساءات بسيطة؟! علينا أن نُسامح لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون!

التلاميذ سُجنوا وجُلدوا، وخرجوا وهم فرحون! لماذا؟ لأنهم اعتبروا ذلك مكسبًا. القدِّيس مار إسحق يقول: إنَّ الجندي في الحرب يُضرَب ويقع ويقوم ويُجرَح، ولكنه في النهاية يخطف العَلَم، علامة النُّصرة، ويأتي الملك ويُكرِّمه ويُقبِّل جراحاته التي أُصيب بها من أجله.

بقدر ما نتعب من أجل الله؛ بقدر ما نتمجَّد. نعم، هي عملية صعبة، ولكن هذا هو الجهاد الروحي. ولكن أنتَ وحدك بقدراتك، لا تقدر ولا يُمكنك أبدًا أن تُتمِّم أيَّة وصية، وخصوصًا محبة الأعداء المُسيئين؛ ولكن تستطيع كلَّ شيء بالنعمة وبقوَّة الله.

عليك فقط أن تطلب وسيُعطَى لك. ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد، آمين.

يونان النبي
كمثال للربِّ يسوع

مَنْ هو يونان النبي؟

هو من الأنبياء الصغار، لا في مقامه، وإنما في حجم سِفْره، وفي نبوَّته التي لا تتعدَّى خمس كلمات. هو نبيٌّ من أعاظم الأنبياء، وإلَّا ما شبَّهه الرب يسوع بذاته كقائمٍ من بين الأموات، والكارز بالخلاص.

ورغم ما أُهِيل على سلوكه من غبار، وَكِيلَ لفكره من اتهامات؛ لكننا كأبناء حقيقيين للآب السماوي ولابسين للروح القدس، يمتنع علينا السقوط في هُوَّة الحُكْم على أيٍّ من رجال الله القدِّيسين، كما حذَّرنا الرسول بولس: «لَا تَسْتَكْبِرْ بَلْ خَفْ!» (رو ١١: ٢٠). ومدينته هي: "جتّ حافر" من سبط "زبولون" قُرب الناصرة، وهي حاليًّا قرية "المشدّ" قُرب جبل تابور، وفيها يوجد قبره حتى الآن[١].

يوجد في الميثولوجيا الشرقية الكثير من القصص التي قد تجد صدًى لها في حادثة يونان، مثل أساطير: "هرقل، حزيون، بيرسو، وأندروميدا"؛ لكن الفارق بين يونان وتلك الأساطير، أنَّ يونان لم يتخلَّص من الحبس بالسيف من الداخل أو بالنار، أو بأيَّة وسيلة أخرى؛ بل بقوَّة الصلاة المُستجابة من الله، وذلك بشهادة ربِّ المجد يسوع ذاته، الأمر الذي يدعم مصداقية الواقعة ويُظْهِر مدى مصداقيتها على النِّطاق الإنساني.

الدروس المستفادة من التاريخ الكتابي:

يُظهِر لنا التاريخ الكتابي العديد من الدروس التي تتشابه مع ضيقة يونان؛ مثل: دانيال في جُبِّ الأسود، والثلاثة فتية في آتون النار، وعبور البحر الأحمر. ومِن ثمَّ، فهي برهانٌ على عمل الله المعجزي مع أصفيائه. بَيْدَ أَنَّ عدم طاعة الوصية كانت وراء ما كابده النبي، بعكس ما اختبره الآخرون. فيونان قد تعَلَّم الطاعة لله من خلال البحر والحوت

(1) Encyclopedia Judaica, Second Edition, Vol. 19, p. 88.

والريح الشرقية واليقطينة والدودة. ونظرًا للإشارة القوية لخلاص يونان من ضيقته المُميتة، يُقرأ السِّفْر حتى الآن في الخدمة المسائية لعيد الكَفَّارة في المجمع اليهودي[٢].

يرتبط يونان في عقلية مَنْ كانوا قبل ظهور ربِّ المجد يسوع في الجسد، بأنه "الحمامة بنت الحق". وتفسير ذلك: إنَّ اسم يونان في العبرية يعني: "حمامة"، و"أمتَّاي" من (אמת) (إمت)، والكلمة تعني: "الصدق، والحق، والاستقامة، والعدل". وبحسب تقليد الربِّيين، فإنَّ يونان هو ابن أرملة صرفة صيدا الذي أقامه إيليا النبي من الموت، فقالت الأرملة: «هذَا الْوَقْتَ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجُلُ اللهِ، وَأَنَّ كَلاَمَ الرَّبِّ فِي فَمِكَ حَقٌّ» (١مل ١٧:٢٤)، ولهذا سُمِّي يونان "ابن الحق"[٣].

ما بين يونان النبي والربِّ يسوع:

نجد هنا الرمزية القويَّة بينه وبين الربِّ يسوع "الحق" و"ابن الآب الحق" (إله حق من إلهِ حق). أمَّا المعنى الثاني لكلمة يونان هو "الأنين"، ولعلنا نجد الارتباط الوثيق بين هذا المعنى وبين الربِّ يسوع الذي لم يُرَ أبدًا ضاحكًا؛ لكنه بكى على أورشليم وعلى شعبه وخليقته التي سلبها الشيطان ويقودها للهلاك والدمار، وكذلك بكى أمام قبر لعازر. ومن هنا نعرف سبب محنة يونان، ليس فقط بتوقُّعه توبة الأُمم وخلاصهم، لكن بسبب خطية شعبه الدائمة وهلاكهم العتيد، وبالتالي نُصرة الأمم عليهم جزاءً لشرِّهم المُستطير. ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ الربَّ أَنَّ وتوجَّع على العالم الذي زيَّنه بكلِّ جمال خليقته (العالم باليونانية "كوزموس"، وتعني: "المُزيَّن والجميل").

نجد في كتاب الهاجداه اليهودي (وهو يحتوي على التقليد الشفاهي اليهودي)، أنَّ البحَّارة ألقوا القرعة عدَّة مرَّاتٍ (بحسب النصِّ الكتابي)، وعندما قرَّروا أن يُلقوا يونان في البحر لم يلقوه مرةً واحدة؛ بل بعد القرعة الأولى أنزلوه حتى ركبتيه فهدأ البحرُ، وبالتالي رفعوه فهاج؛ ثم أنزلوه حتى وسطه فهدأ البحر؛ ومِن ثَمَّ رفعوه فهاج البحر أيضًا؛ وأخيرًا، ألقوه في البحر فدام هدوؤه. أليست هذه إشارة رائعة لسرِّ المعمودية العظيم على اسم

(2) Gabriel H. Cohn David, Sperling (2nd, ed).

(3) E.Ann Matter, *Commentary on the Book of Jonah*, University of Pennsylvania, 1990.

الثالوث القدوس، وأيضًا الارتباط الوثيق بين يونان النبي والمسيح له كل المجد[٤].

تاريخ مدينة نينوى:

+ «وَصَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ بْنِ أَمِتَّايَ: "قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ عَلَيْهَا"» (يون ١: ١، ٢).

ذُكِرَت "نينوي" في سِفْر التكوين في (تك ١٠: ١١، ١٢)٠ وهي: "مدينة عظيمة" مُحاطة بثلاث مدن هي: "كالح، ورحوبوت عير، ورسن"، وجميع هذه المدن محاطة بسورٍ واحد عظيم. وهذا هو سبب تسميتها: "عظيمة"، واتَّخذها الملك سنحاريب عاصمة له، وانتهت عظمتها على يد الملك البابلي نابوبلاسر، مشتركًا مع الماديين في دمارها عام ٦١٢ق.م.

كما وردت "نينوى" في سِفْر طوبيا ١٤: ٦، أنَّ طوبيا الأب قبل موته قال لابنه طوبيا: «قَدْ دَنَا دَمَارُ **نِينَوَى،** لأَنَّ كَلاَمَ الرَّبِّ لَا يَذْهَبُ بَاطِلًا، وَإِخْوَتُنَا الَّذِينَ تَفَرَّقُوا مِنْ أَرْضِ إِسْرَائِيلَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا». وقد دُفِنَ فيها هو وزوجته.

هذا بالإضافة للنبوَّات عن خراب نينوى، كما في ناحوم (١: ١٤؛ ٢: ٨، ١٣؛ ٣: ٧)، وكذلك في صفنيا (٢: ١٣).

ويقول **القديس جيروم:**

[الشر البسيط ليس له صوت؛ أمَّا الشر عندما يتفاقم ويشتدُّ، فصوته يصعد صارخًا أمام الرب، ونجد ذلك في سدوم وعمورة (تك ١٨: ٢٠)][٥].

ويستشهد **القديس جيروم** بالمؤرِّخ يوسيفوس بأنَّ "ترشيش" هي ذاتها "طرسوس كيليكيَّة" بآسيا الصغرى، لأن حرف السين والشين في اللغة العبرية(ש) هو نفس الحرف مع اختلاف التنقيط[٦].

يونان النبي كمثال للربِّ يسوع:

ويربط **القدِّيس جيروم** ربطًا رائعًا بين يونان النبي والربِّ يسوع في العديد من المواضع،

---

(4) Mekh. Bo, Introduction:Tanh: Lev. 8; Pedre 101.

(5) Jerome, *Commentariorum in Jonam Prophetam*, Corpus Christaniorum, Series Latina, Vol. 76.

(6) E.Ann Matter, *Commentary on the Book of Jonah*, University of Pennsylvaia, 1990.

مِمَّا حدا بربِّ المجد أن يأخذ يونان كمثالٍ قوي معلوم عند سامعيه المُتمرسين في حفظ كلمة الله، ومثال ذلك:

- إن كان يونان قد هرب من أرض آبائه إلى البحر؛ فإنَّ الربَّ يسوع قد خرج بإرادته من بيت الآب السماوي، ليموت في وسط أمواج بحر هذا العالم المُضطربة.
- نزل يونان من جبال اليهودية إلى يافا الأرض المُنبسطة، لهذا قال الكتاب: "نزل يونان"، ثم إمعانًا في الاختباء "نزل إلى باطن السفينة"؛ أمَّا الربُّ فقد نام في مؤخَّر السفينة بسلام، وهو الابن الذي أطاع الآب حتى الموت.
- كما دفع يونان أُجرة السفينة ليسهل له الهروب؛ كذلك لم يتأخر الرب عن دفع الجزية علامة لخضوعه للآب وتدبير الخلاص كعبد.
- ضجيج البحر وصراخه كأنه يُنادي يونان ليبتلعه الموت؛ واليهود كانوا يصرخون «اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!».
- ألقى النوتية أثاث السفينة والمؤن، إشارة لتخلّيهم عن اتّكالهم على آلهتهم وحكمتهم البشرية التي كانوا يظنُّون أنَّ حياتهم تعتمد عليها؛ أمَّا الرب فقد أخلى ذاتَه من مجدِ لاهوته ليَظهر في صورة الضَّعف، ولم يَستعِن بقوَّة لاهوته للهرب من الموت.
- لم يستمع النوتية لكلام يونان وحاولوا أن يُجَدِّفوا للبرِّ لتخليصه من الموت، لكن البحر كان يزداد اضطرابًا؛ وبالمثل حاول الأُمم، مُمثَّلين في بيلاطس، التهرُّب من الحُكْم على الربِّ يسوع، لكن اليهود كانوا يزدادون صراخًا ليُميتوه.
- صلَّى يونان وقال: «قَدْ طُرِدْتُ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيْكَ» (يون ٢: ٤)؛ وبالمثل صلَّى الرب يسوع: «إِلهِي إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» (مت ٢٧: ٤٦).
- كانت نينوى مدينة عظيمة مسيرة ثلاثة أيام، لكن يونان من حماسه وهمَّته أنجز البشارة في يومٍ واحد؛ والرب يسوع الواحد من الثالوث القدوس بقوَّة الروح القدس ومسرَّة الآب، أتمَّ عمل الخلاص حتى أكمله.
- حَزِنَ يونان على خلاص نينوى؛ أمَّا الربُّ فَسُرَّ بخلاص كلِّ العالم، لكنه حَزِنَ واكتأب على النفوس التي سوف لا تقبله وتؤمن به. **(البقية صفحة ٤٠)**

قصص التوبة

توبة القدِّيس هيلاري

بفضل القدِّيس هونوراتوس[1]

سيرة القدِّيس هونوراتوس:

هذه قصة لأحد قدِّيسي الغرب، الذي كافح بالصلاة والنُّصح والمحبة المُخلصة حتى أنقذ شابًا من يد العدو والهلاك الأبدي، لعلنا نقتدي بها لإنقاذ شباب أيامنا الصعبة هذه من هذا الجيل المعوَّج الذي يجرُّ بعضه بعضًا إلى الهاوية! وقدِّيسنا اسمه "هونوراتوس"، وغنيمته التي ربحها للمسيح اسمه "هيلاري"، الذي صار فيما بعد هو أسقف مدينة "آرل" في جنوب بلاد الغال (فرنسا). وعاش كلاهما في أوائل القرن الخامس.

وكان الشاب هيلاري يمتُّ بصلة قرابة للقدِّيس الذي سعى جاهدًا إلى توبته وتغيير حياته. ولذلك فقد ترك هونوراتوس جزيرته "ليرنز" المفضَّلة لفترةٍ قصيرةٍ لكي يردَّ هذا الخروف الضال، وأعطاه الرب سؤل قلبه بعد صلواتٍ وأتعابٍ كثيرة معه. ولمَّا أُجبر القدِّيس هونوراتوس على رسامته أسقفًا لمدينة "آرل" نحو عام ٤٢٦م، أَخَذَ معه تلميذه هيلاري الذي فضَّل أن يعود بعد فترةٍ قصيرةٍ إلى ديره. ولم يبقَ القدِّيس هونوراتوس في أسقفيته سوى ثلاث سنوات، إذ تنيَّح سنة ٤٢٩م متأثرًا بتقشُّفاته الصارمة. وقد ألقى القدِّيس هيلاري خطبته الرثائية في الذكرى السنوية الأولى لنياحة القدِّيس هونوراتوس، على شعب أسقفية "آرل" التي صار هو نفسه أسقفًا لها بعد نياحة هونوراتوس. ومن المُرجَّح أنها أُلقيت يوم ١٨ يناير سنة ٤٣٠م. وهي تُعتبر المصدر الرئيسي لحياة القدِّيس هونوراتوس. وقد أكَّد فيها القدِّيس هيلاري أن خطاباته كانت مؤثِّرة ومليئة بالرقة والحلاوة.

توبة هيلاري:

فمَنْ هو الابن الروحي للقدِّيس هونوراتوس، الذي كان ضالًّا فوُجِد؟ هو هيلاري الذي

---

(1) The Fathers of the Church, Vol., 15, p. 361.

وهذا القدِّيس هيلاري (٤٠١ – ٤٤٩م) هو أسقف آرل، وهو غير سميِّه المشهور "هيلاري أسقف بواتييه" (٣١٥ – ٣٦٧م).

وُلِد في إحدى مدن شمال فرنسا عام ٤٠١م، على الأرجح. وكان من أسرةٍ مرموقةٍ، كما كان موهوبًا ذهنيًّا وحصل على قسطٍ وافرٍ من التعليم. وعندما ترك القدِّيس هونوراتوس ديره لكي يسعى إلى خلاص هذا الابن الضال، كان هيلاري في العشرينيات من عمره، وكان يبدو موصد القلب بإحكامٍ ضد كلّ توسُّلات الأب هونوراتوس ومخاوفه عليه من الهلاك الأبدي. وقد استُجيبت صلوات القدِّيس سريعًا، إذ إنَّ هيلاري بعد يومين أو ثلاثة من تلك المقابلة الأخيرة، وَجَدَ نفسه ضحيةً لصراعٍ داخلي عنيف، حيث قال عن نفسه: "شعرتُ، من جهةٍ، أنَّ الرب يدعوني؛ بينما، من جهةٍ أخرى، كانت إغراءات العالم تجذبني إلى الوراء. وكانت إرادتي تتأرجح مُتمايلةً تارةً إلى الوراء مستسلمةً، وتارةً أخرى إلى الأمام رافضةً للعالم، ولكن أخيرًا انتصر المسيح فيَّ"!!

وبمجرد أن عزم هيلاري نهائيًّا على التوبة، لم ينظر إلى الوراء على الإطلاق. فقد باع ميراثه ووزَّع ثمنه على الفقراء، ثم لحق بالقدِّيس هونوراتوس في "ليرنز". ولمَّا رُسِم مُعلِّمه أسقفًا لمدينة آرل اصطحبه معه، ولكنه عاد إلى ديره، إلَّا أنَّ معلِّمه استدعاه بعد سنتين وهو على فراش الموت. وبعد انتقال هونوراتوس حاول هيلاري أن يعود إلى ديره في ليرنز، ولكن الشعب أمسك به وأجبره على الرسامة ليخلف معلِّمه.

❖❖❖

القدِّيس هيلاري يتذكَّر مقتطفات من حياة القدِّيس هونوراتوس:

وقال القدِّيس هيلاري أسقف آرل في الفصل الخامس من كتاب: "حياة القدِّيس هونوراتوس":

بينما كنتُ أستعيد ذكرى خدماته العظيمة للجميع، توقَّفتُ عند اهتمامه الفائق الذي أبداه نحوي، والذي جلب لي الخلاص في المسيح. وذلك ليس بأقل من محبته التي تركت أثرها: كرامة ومحبة بينكم. لأنه من أجلي لم يستنكف أن يقترب من موطنه الأصلي الذي كان قد هجره. وهو الأمر الذي أدَّى إلى جدارته وإلى رأيي فيه، وهو لم يتململ من إجهاد رحلة طويلة بهذا المقدار ومكدِّرةً له، ولا سيَّما بسبب الأمراض التي حلَّت به مدةً طويلةً. وحتى في تلك السنوات، عندما كنتُ متآلفًا مع العالم وعنيدًا تجاه الله، فإنه كمُرشد مُخلِص قادني بيده اللطيفة إلى حبِّ المسيح.

تأثير كلمات القدِّيس هونوراتوس على هيلاري:

وربما يكون من المُملِّ أن أستعرض هنا قوَّة شخصيته التي أظهرها في نصائحه، فكما إنَّه بقدر ما أمكنه – حتى قبل أن يستجيب لدعوته – كان يُطبِّق على نفسه أَحَدَّ المناخس لكي يدخل الحياة الرهبانية؛ هكذا أيضًا في نصائحه سكب نفسه في تيارات غزيرة من ينابيع الحكمة التي كان قد شرب منها طويلًا. ولكن عندما ترك كلامه الروحي في مسامعي انطباعًا قليلًا، اتجه إلى ملجئه المعتاد: "الصلاة"، فاقتحمت صرخاته المليئة بالمحبة أُذُنَي الله حتى وصلت إلى قلب الله الرحوم، وإن كانت قد لاقت صدًّا من قسوة قلبي.

وحقًّا، رغم أنني كنتُ أصارع، وكنتُ ميَّالًا إلى طريقة حياتي الدنيوية والخطرة جدًّا، حتى إنني كنتُ أحيانًا أُثبِّت عنادي بقسمٍ؛ فقد نَطَقَ هذا القدِّيس مُبكِّرًا بروحٍ نبويَّة قائلًا: "هذا الذي لا تريد أن تُعطيني (يا هيلاري) إيَّاه (أي توبتك)، سيُعطيني الله إيَّاه"!

هيلاري في صراعٍ داخلي:

فكم ناضل هذا الأب لكي يُليِّن قلبي بفيضٍ من الدموع! بأيِّ قُبلاتٍ ومُعانقاتٍ مُقدَّسةٍ جاهد معي لأجل خلاصي! ولكنني في ذلك الحين، كما قال هو، ربحتُ لنفسي انتصارًا يؤدِّي إلى هلاكي. وحينئذٍ تعاهَدَتني يمين الله لتأديبي، لأن القدِّيس سلَّمني لله في صلاته. أيُّ رغباتٍ اكتسحت قلبي حينئذٍ! أيُّ وابلٍ من الشهوات المُتعدِّدة والمُتلاطمة قد ثارت أمامي! كم من مرَّةٍ تلاحَقَت الرغبة وعدم الرغبة، كلٌّ منهما في قلبي! ولكن لماذا أقول أكثر من ذلك؟ فبينما كان هو غائبًا عمل المسيح عمله في داخلي، ففي غضون يومين، بصلواته وبرحمة الله، قُهِر عنادي؛ حيث إنَّ أفكاري طردت النوم مني! وبينما كان الرب الصالح يدعونني، كان العالم كله – بجميع مسرَّاته – يقترب مني ويلتصق بي!

الطريق الذي اختاره هيلاري:

وكنتُ أفكِّر في قلبي، وكأنني كنتُ في مشاورات مع صديقٍ، متسائلًا: ما هو الطريق المُستحسن أن أتَّخذه؟ وأيُّ طريق أنبذه؟ فبفضلك أنت، يا يسوع الصالح، أنت الذي حرَّكتك توسُّلات خادمك القدِّيس هونوراتوس المُباركة، قد حطَّمتَ قيودي وقيَّدتني بأغلال حبِّك، تلك التي إذا داومتُ على التقيُّد بها، فإنَّ قيود الخطية لن تستعيد قوَّتها مرةً أخرى. وهكذا، فإنني أنا الذي تركتُه بكبرياءٍ، قد عُدتُ إليه خاضعًا؛ وإذ طرحتُ كلَّ

مقاومةٍ، اقتربتُ منه كأحد المُصلّين الجُدُد. وهكذا أعادت صلوات القدِّيس أولئك الذين هربوا منه، وكذلك أخضعت العنيدين وأَسَرَت المُتمردين!

انطلاق هيلاري إلى البريَّة:

بأيِّ دموعٍ روى القدِّيس حينئذٍ نفسي العقيمة العطشانة! بأيِّ بكاءٍ مُقدَّسٍ جاء بي أنا أيضًا إلى الدموع! بمثل هذا الاتضاع واللطف استقبلني وكأنه كان يُستَقبَل مني، وللحال استبعدتُ كلَّ سببٍ لتأخير توبتي. وحينئذٍ تعرَّف لأول مرة على موطنه الذي شعر لمدةٍ طويلةٍ أنه ينبغي أن يتجنبه. وهكذا اقتادني خارجًا معه أنا غنمته الضالة، وكان يغمره الفرح وشعور النصرة والتهليل. ومع ذلك، فرغم أنني كنتُ قد اشتقتُ فعلًا إلى حياة التوحُّد مقتديًا به، فقد أسرع إلى الإتيان بي إلى داخل البريَّة. وقد غذَّاني أولًا باللبن ثم بعد ذلك بالطعام. لقد منحني أن أشرب من ينبوع الحكمة السماوية المتدفِّق الذي كان بداخله. وكانت رغبته أنَّ روحي ذات الآفاق الضيِّقة، تأخذ بقدر ما كافح هو لكي يزرع فيها.

القديس هونوراتوس يُعدُّ هيلاري ليخلفه:

وفي الحقيقة، إنه كان حينئذٍ يُعدُّني لأجلكم، ليجعلني جديرًا بإشباع رغباتكم، ودون أن يدري كان يعمل على إقامة مَنْ يخلفه! ولكنه كم كان وافر الكرم والسخاء، إن أمكن أن أقول ذلك بدون كبرياء، في غمري في محبته الفيَّاضة! وكم أنه بلطفٍ جعل نِير المسيح الهيِّن أكثر خفةٍ بالنسبة لي! وكم من مرةٍ كان يُسمِّيني "قلبي"! وكم من مرةٍ سمَّاني "روحي" وأيضًا "لساني"! كم نَفَدَ صبره بسبب غيابي عنه! وكم كان اشتياقه دائمًا إلى رؤيتي رغم عدم استحقاقي! ماذا أقول عن كلِّ ذلك سوى أنْ أتذكَّر كلام النبي: «مَاذَا أَرُدُّ لِلرَّبِّ مِنْ أَجْلِ كُلِّ حَسَنَاتِهِ لِي» (مز ١١٦: ١٢)؟!

لمحات من سيرة القديس هيلاري:

❖ وقد عَلِمنا من سيرة القدِّيس هيلاري، التي كتبها أحد المُعجبين به بعد رقاده، أنَّه كان صارمًا مع نفسه، قويًّا في شخصيته، متقشِّفًا ومحبًّا لحياة الفقر، ومُثابرًا للعمل الذي بواسطته كان يساعد الفقراء. ورغم تقشُّفاته، إلَّا أنه كان يُباشِر بكلِّ طاقته الجبَّارة جميع واجبات الأسقفية. وقد ذُكِرَ في سيرته أنه انتقل من العالم سنة ٤٤٩م، عندما بلغ عمره نحو تسعة وأربعين عامًا.

بركة صلوات القدِّيس هونوراتوس والقدِّيس هيلاري تكون معنا، آمين.

جوهر الحياة الروحية

بحسب تعليم القدِّيس أنبا أنطونيوس

في رسائله العشرين[1]

(٢)

ولكن، ماذا نعمل لنقتني الروح القدس؟

ينبغي أولًا أن نُزيل ما يمنع حلول الروح القدس فينا، لأن الروح نفسه يشتهي أن يملأنا ونحن الذين نمنعه من ذلك:

[أُمُّكم سارة، التي هي الروح ... **تشتهي** أن تُكمِّلكم] (رسالة ٨: ١، ص ٧٥ - ٧٦).

لذلك ينبغي أن نحرص على الابتعاد عمَّا يُعطِّل الروح من تتميم شهوته فينا:

[روح الله لا يسكن في نفسٍ أو جسدٍ خاطئ (حك ١: ٤)، لأنه قدوسٌ وبعيدٌ عن كلِّ غش] (رسالة ٤، ص ٢١).

[وهكذا أيضًا الروح القدس لا يسكن في نفس مُتكبِّرة، بل في نفوس المُتواضعين الذين أفكارهم جميعها في الكمال] (رسالة ١٩: ٣، ص ١٣٠).

ثم ينبغي أن نرفع أفكارنا باستمرار إلى السماء، ونطلب باستمرار الامتلاء من الروح القدس، وهذا ما سبق أن قرأناه في رسالة ٨:

[وإذا أردتم أن تقبلوه ويسكن فيكم، قدِّموا أولًا أتعاب الجسد وتواضُع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار. واطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذٍ يُعطَى لكم] (رسالة ٨: ٢، ص ٧٦).

وأيضًا في الرسالة ٥:

[إنَّ كلَّ مَنْ لم يُبغِض ما يختص بالطبيعة الهيولانية الأرضية مع كلِّ أعمالها بكلِّ

---

(١) نستكمل ما تمَّ نشره بنفس العنوان في عدد يناير ٢٠٢٤، ص ٣٢. والأقوال المُقتَبَسَة من الرسائل العشرين، مُطابقة للمخطوط م ٢٣ بمكتبة دير القدِّيس أنبا مقار مع تنقيح لغوي طفيف. وأرقام الصفحات مُطابقة لصفحات كتاب: "رسائل القدِّيس أنطونيوس العشرون"، إصدار دير القدِّيس أنبا مقار، الطبعة الخامسة: ٢٠٢٠.

قلبه، ويبسط عقله نحو العلاء لآب الكل؛ لا يستطيع أن يخلُص. أمَّا مَنْ يعمل هكذا، كما قلتُ، فإنَّ ربنا يتراءف على أتعابه ويُنعِم له بالنار غير المرئية ولا هيولانية، لتحرق كل الأوجاع التي فيه وتُطهِّر عقله. عند ذلك يسكن فيه الروح الذي لربنا يسوع المسيح، ويكون معه ليستطيع أن يسجد للآب كما يجب] (رسالة ٥: ٣، ص ٢٣).

والصلاة لها الدور الأساسي في اقتناء الروح القدس. وهذه الصلاة يجب أن تكون بلا انقطاع "في الليل والنهار" (رسالة ٨: ١، ص ٧٦)، وباجتهادٍ ومن كلِّ القلب: "أديموا الطِّلبة باجتهاد من كلِّ قلوبكم فيُعطَى لكم" (رسالة ٨: ٢، ص ٧٦)، وبإيمانٍ راسخ: "ولا تُفكِّروا في قلوبكم وتكونوا ذوي قلبين، ولا تقولوا مَنْ يقدر أن يقبل هذا؟ لا يا أولادي، لا تَدَعوا هذه الأفكار تأتي على قلوبكم، بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه" (رسالة ٨: ١، ص ٧٦).

الروح القدس في حياة المُبتدئين:

لا يظنُّ أحدٌ أنَّ اختبار قبول الروح القدس وَقْفٌ على المُتقدِّمين في الحياة الروحية. فالأنبا أنطونيوس في رسالته الأولى يُبيِّن أنَّ الروح القدس له الدور الأساسي في حياة المُبتدئين منذ بدء دعوتهم: "هؤلاء قبل كل شيء يدعوهم الروح القدس ويُسهِّل عليهم كل الأمور حتى يُحلِّي لهم الدخول في التوبة" (رسالة ١: ٢، ص ٧). فالمُبتدئ يجب أن "يتعلَّم دائمًا من الروح القدس" (رسالة ١: ٢، ص ٨). وحينئذٍ: "الروح القدس يُرشِد العقل إلى تطهير النفس والجسد كليهما" (رسالة ١: ٣، ص ٨)، "وعند ذلك يطلب (يُصلِّي) بالروح القدس، ويبتدئ أن يطرد عن النفس كل المصاعب التي تأتي عليها من شهوات القلب. وهذا الروح (القدس) إن كان له شركة مع العقل ليساعده على حفظ الوصايا التي تعلَّمها، فإنه يُرشده لينزع عن النفس تلك الأوجاع" (رسالة ١: ٤، ص ٨، ٩)، "روح الله يهديهم إلى طُرُقه المستقيمة" (رسالة ١: ٤، ص ١٠).

وهكذا يظهر الروح القدس أنه هو المُعلِّم الإلهي الذي يُعلِّم المُبتدئين منذ أول لحظة. فمنذ أول خطوة: "الروح القدس هو الذي يجتذب النفس للتوبة" (رسالة ١: ٤، ص ١١). وهكذا تكون سيرة الراهب كلها، من بدايتها إلى نهايتها، تحت إرشاد الروح القدس.

نار الله:

[الذي يقرأ رسائل القدِّيس أنطونيوس يخرج بانطباعٍ روحي لا يمكن أن يُفارقه مدى الحياة: نار، نار، نار، الدعامة الأساسية في تعاليم أنطونيوس نار إلهيَّة تسكن النفس وتطير بها مرتفعة نحو السماء. هذه النار عند أنطونيوس هي سرُّ الحياة الروحانية، وأساس كلِّ سيرة في المسيح، ومبدأ كلِّ فضيلة، وعِلَّة كلِّ عملٍ صالح: "إذا عُدِمَت هذه النار، تصير كالطير الذي نُزِع جناحه" (رسالة ١٨)][٢].

وهذه النار ليست غير الروح القدس نفسه، الذي سمعنا أنطونيوس يدعوه: "الروح الناري العظيم".

وإن كان أحيانًا يتكلَّم عن "النار غير المرئية، التي هي حرارة الأعمال الصالحة، التي اشتعلت في قلوبهم" (رسالة ١٨: ٢، ص ١٢٣؛ رسالة ٧: ٥، ص ٣٧). فهو لا يعني بذلك سوى حرارة الروح القدس الذي يجعل كلَّ أعمال الله "أحلى من العسل والشهد"، ويُعطي سهولة وحرارة في تكميلها. فالقدِّيس أنطونيوس حريصٌ دائمًا أن ينسب كلَّ شيء إلى النعمة: "هذه النار **المُعطاة لكم من الرب**" (رسالة ١٨: ٢، ص ١٢٤). وفي رسالة ٨ التي يتكلَّم فيها عن الروح الناري العظيم الذي قَبِلَه، يوضِّح أنَّ هذه الموهبة قد أعطاه إيَّاها الرب "**بنعمته فقط لا باستحقاقٍ فيَّ**" (رسالة ٨: ١، ص ٧٥). وأيضًا في رسالة ٦:

[فإذا نلتم، يا أولادي، هذه المواهب الفاضلة، لا تظنُّوا أنها من أعمالكم، بل هي قوَّة مقدَّسة مُشترِكة معكم في جميع أعمالكم] (رسالة ٦: ٨، ص ٢٩، ٣٠).

فالأعمال الروحية التي نقدِّمها، ليست في نظر أنطونيوس سوى فعل من أفعال نعمة الروح القدس فينا:

[كلُّ أعمالنا التي نُقدِّمها للربِّ **بالنعمة التي أعطاها لنا**] (رسالة ٧: ٢، ص ٣٤).

وهكذا لا نجد عند القدِّيس أنطونيوس أيَّ أثرٍ للثنائية أو الانفصال بين الأعمال والنعمة، كالذي حدث في العصور اللاحقة. فالنار الإلهيَّة تعني دائمًا عنده نار الروح القدس الذي يجعل كلَّ أعمال الله أحلى من العسل والشهد، ويُعطي سهولة وحرارة في تكميلها.

---

(٢) عن كتاب: "الروح القدس وعمله داخل النفس"، للأب متى المسكين، ص ١٠، طبعة ١٩٧٤.

والآن، فلننصت لِمَا يقوله القدِّيس أنطونيوس عن هذه النار.

فأول كل شيء، هذه النار هي التي جاء الرب يسوع ليُلقيها على الأرض (لو ١٢: ٤٩):

[كونوا عالمين بقلوبكم بالذي (القدِّيس أنطونيوس) يطلب من الله لأجلكم النار التي ألقاها الرب يسوع على الأرض (لو ١٢: ٤٩)، ليُلقيها في قلوبكم لتستطيعوا أن تتدرَّبوا في عزائمكم وحواسكم] (رسالة ٣: ٤، ص ١٩).

وفي رسالة ١٨، يتكلَّم عن مفاعيل هذه النار الإلهيَّة:

[لقد كان سبب إصعاد (القدِّيسين) إلى السماء هو تلك النار غير المرئية، التي هي حرارة الأعمال الصالحة، التي اشتعلت في قلوبهم ... وماذا تُشبه هذه النفس التي سكنتها نار الله؟ إنها تُشبه طيرًا ذا جناحين يطير بهما ويعلو مرتفعًا في جوِّ السماء ... وأجنحة نفس المُتعَبِّد للربِّ، هي قوَّة نار الله التي يمكنها أن تطير بها إلى علوِّ السماء. فإذا عُدِمَت النفس تلك الأجنحة، لا تبقى لها استطاعة أن ترتفع إلى الجوِّ، لكونها فَقَدَت قوَّة تلك النار، فتبقى مثل طير قد نُزِع عنه جناحاه وصار لا يستطيع الطيران.

وأيضا تُشبَّه نفس الإنسان بالطير، لكون الحرارة هي سبب وجوده في العالم. لأن البيض ما لم يحتضنه الطائر في كلِّ وقت، فلا يمكن أن تخرج منه فراخٌ حيَّة، لأن حياتها لا يمكن أن توجد إلَّا في الحرارة. ولهذا قال الرب في الإنجيل المقدَّس: «يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ، يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا؟» (مت٢٣: ٣٧)] (رسالة ١٨: ٢، ص ١٢٣ -١٢٤).

إذن، فجميع حروب الشيطان تهدف إلى غاية واحدة وحيدة، هي أن تنزع عنَّا هذه النار. وكلُّ اهتمام الراهب ينبغي أن يتركَّز في هذه النقطة الواحدة الوحيدة: أن يُحافظ على حرارته الروحية من الانطفاء[٣]، أي أن يحفظ في نفسه "هذه النار المُعطاة له من الرب"، لأنه بهذه النار فقط يستطيع أن يصمد أمام كلِّ هجمات العدو:

---

(٣) يقول في ذلك القدِّيس يوحنا الدَّرَجي:

[مَنْ هو، إذن، الراهب الحكيم المُخلِص إلَّا الذي احتفظ بحرارته من أن تُطفأ، وحتى إلى زمان خروجه لا يكفّ عن أن يُشعِل في قلبه نارًا على نار، ونشاطًا على نشاط، وأشواقًا على أشواق، وغيرةً فوق غيرة] (الدرجة الأولى: ٤٦).

[وهو (الشيطان الذي) يُلقي بأوجاعٍ كثيرة مختلفة في النفس ليُطفئ تلك النار التي تُقيم الفضيلة فيها. فأول ذلك، راحة الجسد وما يختص به. فإذا رأى الشيطان أنه لا يُطاع ولا يُقبَل أَمْره في شيء منها، فإنه يأتي بحِيَلٍ أُخرى في صورة البر ... فإذا رآهم أيضًا مُتحفِّظين من هذه الأُخرى ولا يقبلونها منه ولا يسمعون له مُطلقًا، فإنه حينئذ يولِّي عنهم مخزيًا. وعند ذلك يسكنهم روح الله.

فإذا سكن روح الله فيهم، فإنه يُريحهم في جميع أعمالهم، ويُحلِّى لهم حمل نِير الله، كما كُتِب في الإنجيل: «اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ (لأن نيري حلو ⲅⲁⲣ ⲛⲓⲱⲧ)» (مت ١١: ٢٩). ويصبرون ولا يتعبون قط، لا في عمل الفضائل، ولا في الخدمة، ولا في سهر الليالي. ولا يغضبون من شتيمة الناس، ولا يخافون البتَّة من إنسانٍ ولا من وحشٍ ولا من غلاء ولا من جان، لأن فرح الله معهم ليلًا ونهارًا] (رسالة ١٨: ٣، ص ١٢٤، ١٢٥).

وبقية هذا القول تُركِّز على أهمية الفرح الروحي. وجديرٌ بنا أن نقرأها بانتباه:

[وهذا الفرح يُربِّي عقولهم ويُغذِّيها. لأنَّ النفس تترقَّى دائمًا بهذا الفرح، وتستعد به، وبه تصعد إلى السماء؛ كما إنَّ الجسد قوامه وثباته بالخبز والماء وبما شابه ذلك، من بداية حياته إلى نهايتها. إننا نرى الطفل يتربَّى بلبن أُمِّه، ثم بالطعام الرَّطِب، وبعد ذلك بما اتفق له يومًا فيومًا؛ وهكذا يتقوَّى ويجسُر قلبه على أعدائه المُقاومين له. فإن لحقَهُ مرض يمنعه من الاغتذاء، فإنَّ أعداءه يقوون عليه من كلِّ جهةٍ ويغلبونه. ولا يمكنه أن ينال الصحة ويُشفَى من مرضه ويغلب أعداءه إلَّا بمُلازمة الطبيب إيَّاه ومُعالجته له. فهكذا نفس الإنسان، إذا لم يكن فرح الله فيها، فإنها توجَد مريضة ومطروحة بجراحاتٍ خبيثة. فإذا هي اجتهدت في طلب إنسانٍ خادم لله وعارف بالطب الروحاني، وتمسَّكتْ به، فإنه يشفيها من أوجاعها، فتقوم دفعةً أُخرى، ويُعلِّمها أمور الله. وهكذا تستعيد ذلك الفرح الذى هو طعامها، وحينئذٍ تقدر أن تُضاد أعداءها الذين هم الأرواح الشريرة، وتغلبهم وتدوس كلَّ مشوراتهم، وتتكمَّل بالفرح] (رسالة ١٨: ٤، ص ١٢٥).

(يتبع)

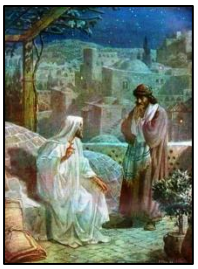

المولود من الله، ومواجهة الخطيَّة

● «نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ لَا يُخْطِئُ» (١يو ٥: ١٨).

تمهيد:

يَشهد الروح القدس في الكتاب المقدَّس بوضوح، كاشفًا عن حال الإنسان بعد السقوط، بالقول: «الْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعًا، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلَاحًا، لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ» (مز ١٤: ٣). وهذا معناه: إنَّه لا يُوجد إنسانٌ بلا خطيَّة، فإنْ قُلنا إنَّنا بلا خطيَّة، نُضِلُّ أنفسنا ولا نقول الحقَّ، كقول يوحنا الرسول بالروح: «إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا» (١يو ١: ٨).

فالإنسان مُنذ أَنْ دَخَلَت الخطيَّة إلى العالم، بسبب مُخالفته للوَصيَّة الإلهيَّة وتَعَدِّيه عليها، قد أَتَاحَ للخَطيَّة أن تَملك على جَسده المائت، وتَجعل مَيْله دائمًا نحو عَمل الشرِّ وفِكر العصيان، والاستماع لصَوت إبليس؛ إذ فَسَدت طبيعته البسيطة والمُنيرة، وتَلوَّث فكره الطاهر بميول الخَطيَّة وآثارها.

ولكن بعد ما صَنَعَ الله له خلاصه العجيب، من قِبَل تَجسُّد ابنه الكَلِمة ومَوته وقيامته؛ فقد أَدَان الله الخَطيَّة في جَسد ابنه، وَوَهَبَ للإنسان طبيعة الخليقة الجديدة، القادرة أن تُعطيه روح الحياة المُقدَّسة، والسلطان على غَلَبة الخَطيَّة ورئيسها (الشيطان)، بعد ما تَطهَّرت حياته من دَنَس الخطيَّة، وانكسرت شوكتها – التي هي الموت – بمَوت المسيح وقيامته من أجلنا.

ومنذ ذلك الحين، احتَدَمت حِدَّةُ الصراع والجهاد في حياة الإنسان الجديد، ما بين قُوَى الشرِّ والخطيَّة التي زَرَعَها إبليس في طبيعة الإنسان بعد السقوط، والتي تُمثِّل الزوان في الحَقل الجيِّد؛ وبين روح الحياة الجديدة والنُّصرَة التي غَرَسها الروح القدس في الإنسان، مِنْ

قِبَل ميلاده الجديد بالروح بالمعموديَّة المقدَّسة، أي الزَّرع الجَيِّد القادر أن يُعِينه في جِهاده لتَحقيق النُّصرة وإتْمام خلاصه. وهو ما يُعبِّر عنه بولس الرسول بقوله بالروح: «لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لَا تُرِيدُونَ» (غل ٥: ١٧)، وأيضًا قوله بالروح: «وَلكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي. وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هذَا الْمَوْتِ؟» (رو ٧: ٢٣ ،٢٤).

ولكن نِعمة الله المُتعاظمة في الإنسان الجديد، جَعلت الخطيَّة بلا شوكة أو سلطان أو قُدْرَة أمامه؛ إنْ جَاهد الإنسان وحَفظ نفسَه أمام محاربات العدوِّ، مُستَنِدًا على معونة الروح القدس الذي بداخله، حتى وإنْ ناله جُرحٌ بسبب سقطةٍ أو خطيَّة ما، فسُرعان ما سيَقوم ليُكمِل جهاده، ويَغتسل من جراحاته بالتوبة والاعتراف، ليَنال إكليل المُجاهدين والغالبين، مُتَمِّمًا قول الكتاب المقدَّس: «لَا تَشْمَتِي بِي يَا عَدُوَّتِي، إِذَا سَقَطْتُ أَقُومُ. إِذَا جَلَسْتُ فِي الظُّلْمَةِ فَالرَّبُّ نُورٌ لِي» (مي ٧: ٨).

معنى: المولود من الله، وكيف لا يستطيع أنْ يُخطئ؟

يكتب القديس يوحنا الرسول بالروح: «نَعْلَمُ أَنَّ **كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ لَا يُخْطِئُ،** بَلِ الْمَوْلُودُ مِنَ اللهِ **يَحْفَظُ نَفْسَهُ، وَالشِّرِّيرُ لَا يَمَسُّهُ**» (١يو ٥: ١٨)، كما يكتب أيضًا: «كُلُّ مَنْ هُوَ **مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لَا يَفْعَلُ خَطِيَّةً،** لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ» (١يو ٣: ٩). إذن، ما المقصود **أولًا: بالمولود من الله**؟ ثُمَّ ما معنى: **لا يستطيع أن يُخطئ**؟

إنَّ جوهر تعليم القديس يوحنا الرسول الذي يُقدِّمه لنا في كلِّ رسائله، يَتلَخَّص – بصِفةٍ خاصَّة – في تعبيره المُنير: «كُلُّ مَنْ **يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ**» (١يو ٥: ١)، فهذه الكلمات الفائقة لا يجب أن نَعزلها عن مفهوم الولادة من الله.

فمَعلومٌ أنَّ الخطيَّة ليست من الإيمان، والإيمان يَشهد أنَّ ابن الله قد أدان الخطيَّة في الجسد، وأنَّ الذي ليس له إيمانٌ بتجسُّد المسيح ابن الله لأجلنا، لنَصير نحن أولاد الله بالإيمان به؛ فإنه يقع تحت الدينونة. وبذلك يكون من السَّهل علينا أن نَفهم قصد الوحي الإلهي من قوله: إنَّ المولود من الآب لا يُخطئ، ذلك لأنَّه عرف وآمن بتَجسُّد المسيح ابن الله، وبالتالي فقد آمن أيضًا بموته من أجلنا، وقيامته، واعتقاده بالدينونة المُزمعة أن تأتي؛

فلا يقع بعد تحت الحُكم. ومِن ذلك يَتَّضح لنا معنى: "**المولود من الله**"، أي الذي لا يَفقد إيمانه بتَجسُّد كلمة الله ومَوته وقيامته، ولا بالدينونة الآتية. كذلك فإنَّ تعبير "**مولود من الله**"، يُظهِر عِظَمَ الفرق بين الولادة من الله القدوس بالروح، وبين الولادة من إبليس (ملك الخطيَّة والإثم). فالمولود من الله – إنْ صَدَرَت منه أحيانًا بعض الأخطاء أو السَّقَطات – فهي لا تُمثِّل سوى مُجرد أعراضٍ لضَعفٍ أو مرضٍ، ولكنها لا تَلحَق بجوهر حياته أو إيمانه، أو إنَّها تُعبِّر عنهما. والمُراد هنا بعدم استطاعة المولود من الله أن يَرتَكِب خطيَّة، ليس هو العَجز الطبيعي عن فِعلها، بل هو العَجز الإرادي والأدبي عن ذلك، كما نَستدِلُّ عليه من تعبير الكتاب المقدَّس: «لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا» (يو ١٢: ٣٩)، وأيضًا: «رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ» (يو ١٤: ١٧)[1].

لذلك لا يَقدر المؤمن أن يقول إنَّه لا يُبالي بارتكاب الخطيَّة أو يخشاها بسبب ولادته من الله، فإنَّ هذا يكون بَيِّنةً على أنَّ الزَّرع الإلهي غير ثابتٍ فيه، وأنَّه لم يُولد بعد من الله؛ بل عليه حينما يُجَرَّب ويَسقط في الخطيَّة أنْ يخاف ويَحتَرِس خِشية عدم ثبات الزرع الإلهي فيه. حينئذٍ يليق به أنْ يصرخ ويُسرِع في طلب معونة الروح القدس لمُقاومة الخطيَّة، لكي لا يَجد إبليس مكانًا له في قلبه. فالقول: "**لا يستطيع أن يُخطئ**"، يستلزم أنَّ الإنسان لا يَعمل الخطيَّة. أمَّا إن أخطأ عن عمدٍ، فقد بَرهَنَ على أنَّه غير مولود من الله، لأنَّ المولود من الله يُمكن أن يُجرَح يوميًّا من الخطيَّة، لكِنَّه لا يَطرح أسلحته ويُسلِّم لعدوِّه. وقد رأينا في بطرس الرسول مثالًا عظيمًا للقيام من سقطته، بعد إنكاره لسَيِّده، وذلك ببكائه المُرِّ ونَدمِه، ثمَّ عودته ليَشهد باسم المسيح، حتى سُفِك دمه من أجل عِظَم محبته له.

«مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ لَا يُخْطِئُ»:

يقول القديس يوحنا الرسول بالروح في رسالته الأولى: «كُلُّ مَنْ يَثْبُتُ فِيهِ **لَا يُخْطِئُ.** كُلُّ مَنْ يُخْطِئُ لَمْ يُبْصِرْهُ وَلَا عَرَفَهُ» (١يو ٣: ٦)، ويقول أيضًا: «مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ يَفْعَلُ التَّعَدِّيَ» (١يو ٣: ٤). ولإيضاح هذا الأمر يَلزم أن نُدرِك المعنى الصحيح لتعبير "**لا يُخطئ**"، كما وَرد في لغة كتابته الأصليَّة. فالفعل "**يُخطئ**" الوارد في هذه النصوص الخاصة بالمولود من الله، جاء في صيغة المضارع المُستمر في اللغة اليونانيَّة، بمعنى: "**الاستمرار أو التمادي**

---

(١) انظر: الكنز الجليل في شرح الإنجيل - تفسير رسائل يوحنا الرسول.

في فعل الخطيَّة"، فأولاد الله المولودون بالروح منه، يَجتهدون على الدوام للالتصاق بالله وفِعل ما يُرضيه، ويُجاهدون دائمًا لكي لا يُخطِئوا، وإنْ حَدث أن سَقَطَ شخصٌ أو أخطأ، **فلا يَستمرَّ في خطئه أو مُمارسة خطيَّته**؛ بل يُسرِع إلى **التوبة الصادقة والاعتراف**، ليَغتَسِل من خطاياه بدم يسوع المسيح، مُعلِنًا نَدَمه ورجوعه عن خطيَّته. حينئذٍ، يكونُ دَم يسوع هو شَفيعه لقبوله أمام الآب ليَعود ابنًا لله مرَّةً أخرى، كما قال الربُّ يسوع لبطرس الرسول: «الَّذِي قَدِ اغْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَّا إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ» (يو ١٣: ١٠).

ولكن، هل يَعني كَوْن يسوع المسيح قد صار كَفَّارةً لخطايانا أنْ نَتهاون أمام الخطيَّة؟ لنرى ماذا يُعلِّمنا القدِّيس يوحنا الرسول، فهو يَشهد بالروح أنَّه لا يوجد إنسانٌ بلا خطيَّة، فيقول: «إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا ... إِنْ قُلْنَا: إِنَّنَا لَمْ نُخْطِئْ نَجْعَلْهُ كَاذِبًا» (١يو ١: ٨، ١٠)، ولكنَّه يعود ليُشجِّعنا بقوله بالروح أيضًا: «أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ **لَا تُخْطِئُوا.** وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ **فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ،** يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا» (١يو ٢: ١، ٢).

ويَلزم هنا أن نُذكِّر بأمرٍ هام، وهو أنَّ الحديث الدائم عن الخطيَّة في كلِّ هذه النصوص يَنْصَبُّ على الخطيَّة التي ليست للموت؛ أي التي لا تَرتبط بإنكار الإيمان أو جحده، أو رفض التَوبة؛ بل عن الخطايا المُرتَبطة بكلِّ ضعفات الإنسان وعثراته المُتكَرِّرة، ومُحاربات إبليس الشديدة له، وسقطاته اللاإراديَّة بسبب ضغوط الحياة؛ أو ربَّما إنكاره العارض للإيمان، بسبب قسوة الاضطهاد أو الخوف، مثل بطرس الرسول، ولكن دون إخلال بجوهر إيمانه ورجائه الحيِّ في رحمة إلهه وغفرانه، أو عَزمه وجهاده للرجوع والتوبة عن هذه الخطايا، كما قال الربُّ يسوع نفسه: «إِنَّ جَمِيعَ الْخَطَايَا تُغْفَرُ لِبَنِي الْبَشَرِ، والتَّجَادِيفَ الَّتِي يُجَدِّفُونَهَا. وَلكِنْ مَنْ جَدَّفَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَيْسَ لَهُ مَغْفِرَةٌ إِلَى الأَبَدِ» (مر ٣: ٢٨، ٢٩).

ونعود فنقول: إنَّ شفاعة المسيح الكفَّاريَّة لنا لا يجب أنْ تكون مُبَرِّرًا لاستخفافنا وتهاوُننا بفعل الخطيَّة، لأنَّ هذا الأمر يُعدُّ كبرياءً منَّا، واستهانة بدم المسيح المقدَّس، وهو نوعٌ من خداع النَّفْس لنا وللآخرين، قد يَدفعُنا الشيطان للتمادي فيه، والإصرار على خطايانا وعدم توبتنا؛ ومن ثمَّ، الوقوع تحت الدينونة وحُكْم الموت. فغفران الخطايا هو هِبَة رحمةٍ أعطاها الآب لنا مِن قِبَل دَمِ ابنه ومحبَّته لنا، وأمانته في وعوده لأولاده، وأيضًا بسبب عدالته

المستمرَّة في دوام عمل هذا الدَّم المبذول لغفران خطايانا وسقطاتنا المُتَكَرِّرة كلَّ يوم، طالما نحن مؤمنون به من كلِّ قلوبنا، ومُسرِعون في التوبة باتِّضاعٍ ونَدَمٍ وانكسار قلبٍ، عن كلِّ خطيَّة نَفعلها، لكي نَغتسل بدمِ المسيح، ونَتطهَّر به مرَّةً أخرى.

فالقدِّيس يوحنا الرسول يَعتبرُ الخاطئ ابنًا للآب السماوي، حتى وإنْ أخطأ فهو ما يَزال ابنًا لله، لأنَّ الله برحمته قادرٌ أنْ يَقبَله مرَّةً أخرى شريطة توبته وعَوْدَته وحِفظ إيمانه به؛ مثلما فعل الابن الضال، وكما فَعَلَ معنا الربُّ يسوع نفسه، كقول بولس الرسول بالروح: «(لأَنَّه) لَا يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً» (عب ٢: ١١). أمَّا الذي يُخطئ **ويَستمرُّ في خطيَّته** (بحسب المعنى المقصود والسابق شرحه)، فهو الذي لم يَعرف الله ولا وُلِد منه، وليست له حساسية لسماع صوته، وليس هو إبنٌ حقيقيٌّ ثابتٌ في الله. كما يُحذِّرنا القدِّيس بولس الرسول بأنَّنا لا يجب أنْ نَتهاون ونَستَخِفَّ بفعل الخطيَّة، بحُجَّة كَثرة مراحم الربِّ ونِعمته لنا؛ حيث يقول بالروح: «فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَنَبْقَى فِي الْخَطِيَّةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ؟ حَاشَا! نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ، **كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟**» (رو٦: ١، ٢).

فالشيطان يَعمل – ليس فقط لكي نُخطئ – بل أنْ **نَستمرَّ في فعل الخطيَّة**، ولكنَّ الله الرحوم يعمل فينا أيضًا لكي لا نُخطئ. أمَّا قول يوحنا الرسول: **«لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ»** (١يو ٣: ٩)، فيعني به أنَّ كَلمة الله المزروعة في الإنسان الجديد المولود من الله في المعموديَّة المقدَّسة بالروح القدس، إنْ ثَبُتَتْ في قلب الإنسان، فإنها تُعطيه قوَّةً وصلابةً لمُقاومة الخطيَّة، ونُفورًا منها ورَفضًا لها، وإصرارًا على عدم الاستمرار فيها أو مُهادنتها، حتى وإن جرحته سهامُها؛ إذ هو مولودٌ من الله، وهو بإيمانه قد انفصل عن مملكة الشيطان واتَّحدَ بالله، وبالتالي لا يُخطئ عن عَمدٍ أو يَقبَل أنْ يَلتصق بالخطيَّة الغريبة عن طبيعته الجديدة؛ بل سرعان ما يَهُبُّ من سَقطته – إن جرحته سِهامُها – ليُجاهد ويَغلب بمعونة إلهه الذي آمن به: «لَا تَشْمَتِي بِي يَا عَدُوَّتِي، إِذَا سَقَطْتُ أَقُومُ» (مي ٧: ٨)، وأيضًا كقول المُرَنِّم: «مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ تَتَثَبَّتُ خَطَوَاتُ الإِنْسَانِ وَفِي طَرِيقِهِ يُسَرُّ. إِذَا سَقَطَ لَا يَنْطَرِحُ لأَنَّ الرَّبَّ مُسْنِدٌ يَدَهُ» (مز ٣٧: ٢٣،٢٤).

وأمَّا قول يوحنا الرسول بالروح: «الشِّرِّيرُ لَا يَمَسُّهُ» (١يو ٥: ١٨)، أي إنَّ إبليس لا يَقدر أن يُؤذيه أو يجرحه **جُرحًا مُميتًا**، بل إنَّ جميع جراحات إبليس للإنسان يُمكن مُداواتها بقوَّة

الإيمان والتوبة الحقيقيَّة، والجهاد حتى الدم ضِدَّ الخطيَّة؛ مثلما صَرخَ بطرس الرسول عندما أوشك على الغَرَق قائلًا: «يَا رَبُّ نَجِّنِي»، فامتدَّت إليه الأذرع الإلهيَّة وانتشلته من الغَرَق؛ وكما بكى هو أيضًا بدموعٍ حارَّة بعد إنكاره لسَيِّده، فقَبِل الربُّ توبته، وبعد ذلك رجعَ يُثَبِّت إخوته، كما أوصاه الربُّ سابقًا (انظر: لو ٢٢: ٣١،٣٢)، ويَرعى خرافه.

علامات أولاد الله وأولاد إبليس:

يقول القدِّيس يوحنا الرسول، كَخُلاصة لتعليمه بالروح عن أولاد الله وأولاد إبليس: «بِهذَا أَوْلَادُ اللهِ ظَاهِرُونَ وَأَوْلَادُ إِبْلِيسَ» (١يو ٣: ١٠). فهو يَفصل بين أولادِ الله وأولاد إبليس، ويُشير إلى سِماتٍ مُميَّزَة لأولاد الله عن الآخرين، نوجزها فيما يلي:

١ - **الإيمان**: يقول يوحنا الرسول: «كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ» (١يو ٥: ١)، ونحن لا نَقدر أن نُتَمِّم إرادة الله ومشيئته في حياتنا كأولادٍ لله بدون هذا الإيمان الموهوب لنا من الله، كما يقول الرسول نفسه بالروح: «وَهذِهِ هِيَ الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا. مَنْ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ الْعَالَمَ، إِلَّا الَّذِي يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ؟» (١يو ٥: ٤،٥). ومن الواضح أنَّ المقصود بإيماننا، هو هِبَة الإيمان القلبي الصادق الذي به نَشهد للابن الكَلِمة المُتجسِّد، بمعونة المسيح وروحه القدُّوس لنا. وبهذا الإيمان نَقدر أن نَغلِب العالم وكلَّ شهواته، ونُقاوم حتى الدم مُجاهدين ضدَّ الخطيَّة فنَنتَصر، وإن سَقطنا نقوم ونُكمِل جهادنا، بسبب قوَّة الإيمان الموهوب لنا من الله.

٢ - **القداسة وفعل البرّ**: يَحُضُّنا بولس الرسول على حياة القداسة، باعتبارها ضرورة قُصوى، وشرطًا أساسيًّا لمُعاينة الله – وبالطبع هي صفة لا بُدَّ أن يَتحلَّى بها أولاد الله – فيقول بالروح: «الْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ» (عب ١٢: ١٤). والربُّ يسوع يُطوِّب أصحاب القلوب النَّقيَّة فيقول لنا: «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ» (مت ٨: ٥). ويأتي يوحنا الرسول ليوَضِّح أنَّ فعل البرّ هو علامة كاشفة عن أولاد الله المولودين منه، فيقول بالروح: «إِنْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ بَارٌّ هُوَ، فَاعْلَمُوا أَنَّ **كُلَّ مَنْ يَصْنَعُ الْبِرَّ مَوْلُودٌ مِنْهُ**» (١يو ٢: ٢٩)، ويَعود ليؤكِّد هذا بقوله أيضًا: «مَنْ لَا يَفْعَلُ الْبِرَّ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ» (١يو ٣: ١٠)، وأيضًا يقول بالروح: «كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لَا يَفْعَلُ خَطِيَّةً» (١يو ٣: ٩)، وأيضًا يَكتب: «أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ لَا تُخْطِئُوا» (١يو ٢: ١). وبالطبع، المقصود بالخطيَّة، كلُّ فعلٍ ضدَّ

الإيمان، وكلُّ خطيَّة أو فعلٍ إرادي مُخالف لوصايا الله يَصنعه الإنسان، مُعاندًا فيه صَوتَ الروح القدس الداعي له إلى الجهاد والتوبة والرجوع إنْ سَقَط.

٣ - **المحبَّة الكاملة لله وللإخوَة:** يقول يوحنا الرسول: **«كُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ»** (١يو ٤: ٧)، فالله هو مصدر المحبَّة وينبوعها، والذي يُحبُّ قد وُلِد من الله، أي إنَّه يَشترك في حياة الله. وبقدر هذه المحبَّة، بقدر ما تكون الشهادة لنا على أنَّنا أولاد الله، المولودون من ذلك الينبوع الحقيقي للمحبَّة: "الله محبَّة". كذلك، فإنَّ **محبَّتنا للإخوة** هي شاهدٌ صادقٌ على محبَّتنا لله، كما يقول يوحنا الرسول بالروح: «مَنْ قَالَ: إِنَّهُ فِي النُّورِ وَهُوَ يُبْغِضُ أَخَاهُ، فَهُوَ إِلَى الآنَ فِي الظُّلْمَةِ» (١يو ٢: ٩)، وأيضًا يُؤكِّد ذلك الأمر بقوله: «(لأَنَّ كلَّ) مَنْ لَا يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ؟» (١يو ٤: ٢٠). ويُلَخِّص لنا القدِّيس يوحنا الرسول وصايا الربِّ يسوع بقوله بالروح: «**وَهذِهِ هِيَ وَصِيَّتُهُ:** أَنْ نُؤْمِنَ بِاسْمِ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، **وَنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا**» (١يو ٣: ٢٣).

أمَّا أولاد إبليس فهم بِعكس هذه السِّمَات والصِّفات، إذ إنَّهم لم تَمسَّ المحبَّة أو الإيمان قلوبَهم، فصاروا بعيدين بإرادتهم، فاقدين الحِسَّ على سماع صوت الله، أو رؤية الحقِّ والشهادة للمسيح فاديهم، مُنغَمِسين في شهوات ومَلَذَّات هذا العالم، كما وصفهم القدِّيس بطرس الرسول بقوله بالروح: «هؤُلَاءِ هُمْ آبَارٌ بِلَا مَاءٍ، غُيُومٌ يَسُوقُهَا النَّوْءُ. الَّذِينَ قَدْ حُفِظَ لَهُمْ قَتَامُ الظَّلَامِ إِلَى الأَبَدِ، لأَنَّهُمْ إِذْ يَنْطِقُونَ بِعَظَائِمِ الْبُطْلِ، يَخْدَعُونَ بِشَهَوَاتِ الْجَسَدِ فِي الدَّعَارَةِ ... الَّذِينَ يَحْسِبُونَ تَنَعُّمَ يَوْمٍ لَذَّةً. أَدْنَاسٌ وَعُيُوبٌ، يَتَنَعَّمُونَ فِي غُرُورِهِمْ صَانِعِينَ وَلَائِمَ مَعَكُمْ ...» (٢بط ٢: ١٧، ١٨، ١٣)، وهم أيضًا الكذَّابون مثل أبيهم (الشيطان)، كما يشهد بذلك عنهم الربُّ يسوع بقوله: «لأَنَّهُ (إبليس) كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ» (يو ٨: ٤٤). هؤلاء لم يُولدوا من الله ولا عَرَفوه، وهم مَنْ قال عنهم الربُّ يسوع أيضًا: «أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا» (يو ٨: ٤٤).

أمَّا نحن، فلْنَثبُت في إيماننا الأقدَس، صانعين البرَّ، مُتَمَسِّكين بحياة القداسة والبرِّ التي نحن لها مَدعوُّون، وإنْ أخطأنا – بضعفٍ أو بِغَير إرادتنا – فلْنَنتَفِض ونَقوم مُسرِعين بالتوبة والاعتراف، إذ لنا شَفيعٌ إلهي عند الله الآب، واثقين في خلاصنا ونَيْل نصيب البنين وميراثهم، كأولاد أحِبَّاء مولودين من الله الرحوم.

من
التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة[١]

(٩)

(١) معرفة الله مِن خلال الكتاب المقدَّس:

هيَّا بنا نفحص الآن بالتَّفصيل بعضًا مِن هذه الطُّرُق الخاصَّة والدَّقيقة والمميَّزة، والمسمَّاة النِّعْمة أو القوَّة الفعَّالة، والتي عن طريقها يُمكننا أنْ نصل إلى معرفة الله. هذه القوَّة الفعَّالة يمكن تشبيهها بالدَّرجات الموجودة في كتاب يوحنا الدَّرَجي (أو السُّلَّمي) John Climacus Ladder of Divine Ascent.

أوَّل درجة يُمكننا أنْ نصعدها لنعرف الله هي كتابه، الكتاب المقدَّس، والذي مِن خلاله يتكلَّم الله ويُعلِن لنا عن ذاته.

يوجد قومٌ يقولون: "آه لو كانت قد أُتيحت لي الفرصَة أنْ أسمع الله يتكلَّم شخصيًّا، لكنتُ قد عَدَوْتُ إلى أقصى الأرض بعد أنْ أخلع حذائي لأسمعه". ولكن الله موجودٌ هنا والآن، وهو يتكلَّم مع كلِّ واحدٍ منَّا شخصيًّا، فلا داعي لنسافر إلى أقصى الأرض لنسمعه، فهو يتكلَّم معنا كلَّ الوقت في كلمته، الكتاب المقدَّس، ومن خلاله. فما هو الكتاب المقدَّس سِوَى كلمة الله، يكلِّمنا كلَّ يوم أحد في القدَّاس الإلهي، ويوميًّا في بيتنا وبين أُسرتنا مِن خلال اجتماعنا العائلي حوله. إنَّه كلمة الله كما لو كان الله نفسه يكلِّمنا بشخصه.

يكتب القدِّيس يوحنا ذهبي الفم St. John Chrysostom ويقول:

[كما إنَّ الله صار إنسانًا في بيت لحم، والكلمة الأزلي صار جسدًا؛ هكذا تمامًا فإنَّه في الإنجيل يُخْفِي مجدُ الله نفسَه في رداءِ بَشَري إنساني مِن فكر الإنسان ومِن لغته].

الله يتكلَّم مِن خلال كلمته.

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *Knowing God Life's Highest Purpose & Joy*.

في كلِّ مرَّة أمسك بالكتاب المقدَّس لأقرأه، أجد نفسي محتاجًا أنْ أقول: "الآن الله يُكلِّمني". هو لا يتكلَّم في ضبابٍ ورعودٍ وبروق مثلما تكلَّم مع موسى النَّبي على جبل سيناء، ولكنَّه يتكلَّم مثلما تكلَّم الرَّب يسوع مع تلاميذه في الموعظة على الجبل. الربُّ تكلَّم معهم وهو جالسٌ على قمَّة تلٍّ يُطِلُّ على بحر الجليل، مُخاطبًا إيَّاهم شخصيًّا بكلمات الحياة، أي التَّطويبات.

يصف هانز بلثازر Hans Urs Von Balthasar حضور الله القوي الذي يشعر به أثناء قراءته لكلمة الله، فيقول:

"أيُّ شخصٍ يدخل في دائرة تألُّق وبهاء الكلمة الإلهيَّة، فإنَّه يُمسَك بها، وهو يعرف بالخبرة أنَّ هذه الكلمة لا توصِّل إلى معرفة عن الله فقط، ولكن مختبئ في ظاهر الحرف صفات إلهيَّة، وهذه تُعدُّ في ذاتها تجلِّيَّات شديدة القوَّة للانهائيَّة ولا محدوديَّة الله وحقّه، عظمته ومحبَّته. الظُّهور الإلهي يضطر السَّامع له أنْ ينحني في خضوعٍ واتِّضاعٍ وإذعان".

كَتَب د. بيوس بارش Dr. Pius Parsch يقول:

"الكتاب المقدَّس هو كلمة الله الحيَّة الحقيقيَّة لكَ ولي، فعندما تقرأ الكتاب المقدَّس، فأنتَ لا تقرأ مجرَّد كلام تكلَّم به الله للآخَرين منذ زمانٍ بعيد؛ كما لا تقرأه في غموض، فهو يتكلَّم لك الآن. قراءة الكتاب المقدَّس هي دخول في حوار مع الله، حيث نكون بالفعل في اتِّصالٍ معه، وكم علينا أنْ نُقَدِّر هذه الحقيقة العظيمة! عندما تصلِّي، فأنتَ تتكلَّم مع الله؛ وعندما تقرأ الكتاب المقدَّس، فإنَّ الله يتكلَّم معك، لا كقاضٍ قاسٍ، ولكن كأبٍ مُحبٍّ[٢]".

يجب علينا أنْ نتذكَّر دائمًا أنَّ الله ليس فقط مُعطي نواميس وشرائع، بقدر ما هو مُعطي حياة. تلك الحياة التي ننالها مِن خلال كلمة الله والأسرار الإلهيَّة.

بالنِّسبة للمسيحيِّين الأرثوذكس، فإنَّ العهد القديم والعهد الجديد مرتبطان تمامًا، حيث العهد القديم يُقرأ في ضوء العهد الجديد، والعهد الجديد يُقرأ في ضوء العهد القديم، وعن

(2) Pius Parsch, *Learning to Read the Bible.* Liturgical Press. Collegeville, MN. 1963

هذا كتب المغبوط أوغسطين:

[العهد الجديد مخفي في العهد القديم، والعهد القديم يُعاش في العهد الجديد].

عند قراءة الكتاب المقدَّس، فإنَّ بعض النَّاس يجنحون نحو أسئلة تافهة مثل: "ما عدد الأولاد الذين أنجبتهم حوَّاء مِن آدم؟ ... إلخ"، وهكذا ينشغلون بهذه الأسئلة حتى ينسوا السَّبب الأساسي الذي لأجله كُتِب الكتاب المقدَّس، الذي هو إعلان خطَّة الله الخلاصيَّة لنا مِن خلال مجيء يسوع ليُساعدنا لنقْبله كمُخلِّص، وأنْ نحيا حياة الخلاص كأعضاء جسده: الكنيسة. الكتاب المقدَّس لا حدَّ للحكمة التي فيه، وصِدْقه والحق الذي فيه لا يُسْبَر غَوْرهما، والقوَّة السريَّة التي فيه لا حدَّ لعمقها، والأهم مِن كلِّ هذا، هو تمجيدٌ لله ضابط الكل.

بالإضافة إلى أنَّ الكتاب المقدَّس ليس هو مجرَّد كتاب عادي، فهو خطاب حُبِّي ووِدِّي مِن الله، يحوي عرضًا للزِّيجة الرُّوحيَّة لكلِّ واحدٍ منَّا مع الله. فالله يريد أنْ يدخل في أقصى علاقة حبٍّ ممكنة معنا، فهو يقدِّم عرضًا للزَّواج مِن خلال الكتاب المقدَّس وينتظر الإجابة، ويُعدُّ هذا أهم قرار يمكن لنا أنْ نتَّخذه في حياتنا، والإجابة هل ستكون: "نعم" أم: "لا" لخالقنا وعريسنا وإلهنا! فمصيرنا الأبدي يعتمد على هذا القرار.

نعتقد أنَّ كيركجارد Kierkegaard (الفيلسوف الوجودي المؤمن) كان يفهم ذلك عندما كَتَب:

"مِن الضَّروري أنْ تقرأ الكتاب المقدَّس مِثل عاشق صغير يقرأ خطابًا مِن حبيبه، لقد كُتِب لي شخصيًّا".

إنَّ أهمَّ لحظة قاطبة في حياة الإنسان هي عندما يسمع قَرَعَات المسيح على باب قلبه، وينهض ويقوم ليفتح له (رؤ ٣ :٢٠).

إرما زاليسكي Irma Zaleski، التي كانت تكتب تحت الاسم المُسْتعار: "الأم ماكرينا"، تصف الكتاب المقدَّس على أنَّه: "كتابٌ سرائريٌّ"، فتقول:

"كلمات الكتاب المقدَّس، وعلى الخصوص الأناجيل، يُمكن أنْ يُقال عنها إنَّها نَفَحَات الرُّوح القُدُس. فيمكننا أنْ نقول عنها: "إنَّها سرائريَّة". فكلماته تجعل الله حاضرًا لنا، ولها مِن القدرة أنْ تُحرِّك قلوبنا وتفتحها على الإيمان. نحن لسنا مجرَّد

قارئين عن المسيح في الأناجيل، ولكنَّنا نتقابل معه[٣]".

قال أحد المسيحيِّين المجهولي الهويَّة عن الكتاب المقدَّس:

"مِن أفضل الطُّرُق لتعرف الله هو أنْ تقرأ كلمته، الكتاب المقدَّس، بطريقة منتظمة يوميًّا. إنَّه ممتلئ بأعمال الله خلال التَّاريخ، اهتمامه بالأفراد والجماعات، خططه مِن جهة الخِلقة والخليقة، وعوده وأوامره. على مَدَى الكتاب، يُعلِن الله عن شخصه، ويكشف عن خططه الخلاصيَّة، ويأتي بالحقِّ إلى النُّور. وعندما تقرأ كلماته القويَّة الحيَّة والمُحييَّة، لن تجد حدودًا لاكتشافاتك ومعارفك عن الله. وكلَّما ازدادت معرفتك به، كلَّما احتجتَ أنْ تعرفه أكثر". **(يتبع)**

(3) Irma Zalseski, *Who Is God? The Soul's Road Home*. New Seeds. Boston, MA. 2004

****

(بقية المنشور صفحة ٢٠ – "يونان النبي كمثال للربِّ يسوع")

- ألقوا قُرَعًا لهلاك يونان؛ أمَّا المسيح، فالقرعة أصابت فقط رداءه رمزًا لجسده الذي ظنَّ الشيطان أنه تمكَّن منه.
- قال يونان: «يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي» (يون ٤: ٣)، حُزنًا لخلاص الأمم؛ أمَّا الرب فصرخ: «يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي» (لو ٢٣: ٤٦)، في طاعةٍ للآب ومحبةٍ للجنس البشري.

✠ وأخيرًا، يورِد **القدِّيس جيروم** حديثًا وكأنه على فم السيِّد الرب، فيقول:

[كان يونان خادمًا، لكني أنا السيِّد. هو خرج من الحوت، وأنا انتصرتُ على الموت. هو بشَّر بالدمار، وأنا أتيتُ لأُبشِّر بالأخبار السارة لملكوت السموات. أهل نينوى آمنوا دون آياتٍ، ولكني أريتكم آياتٍ كثيرة. هم لم يسمعوا سوى بضع كلمات، لكنى أظهرتُ لكم الحق كل الحق. أهل نينوى كان عليهم أن يتوبوا بجهدٍ وصومٍ؛ لكني صُمْتُ عنكم وصلَّيتُ، بل والتمستُ لكم الأعذار. هم كانوا غرباءَ وأُممًا؛ أمَّا أنتم المؤمنون فأرسلتُ لكم أنبياءَ عديدين. عن يونان لم تأتِ نبوَّة؛ أمَّا عني فقد جاءت الكثير من النبوَّات وكلها تحقَّقت فيَّ][٧].

(7) Jerome, Ibid.

الحياة اللّيتورجيَّة لكنيسة الإسكندرية[1]

(١٠)

القرن التاسع عشر الميلادي

في تاريخ الكنيسة:

+ كان مقرُّ الكُرسي البطريركي هو الكاتدرائيَّة المرقسيَّة القديمة بالأزبكيَّة. وشهد هذا القرن خمسة من بطاركة الكنيسة القبطيَّة، أولهم البابا مرقس الثامن (١٧٩٦- ١٨٠٩م) الـ ١٠٨، وآخرهم البابا كيرلس الخامس (١٨٧٤- ١٩٢٧م) الـ ١١٢.

+ تحسَّن وَضْع الأقباط عمومًا منذ عهد محمد علي، حيث أُسندت إليهم الأعمال المصرفيَّة وضَبْط الإيرادات، والأعمال الحسابية. ونشأت بينهم طبقة مثقَّفة بلغت مراتب عالية. ولم يَحُل شيءٌ بين الأقباط وبين مُمارسة طقوسهم الدينيَّة، ولم يُرفض أي طلب تقدَّموا به لبناء وإصلاح كنائسهم. ولكن، في أواخر أيام محمد علي، صمَّم على طرد الأقباط إذا أبوا اعتناق الإسلام، غير أن المَنيَّة وافته، حيث قُتل قبل أن يُحقِّق مُراده.

+ ظلَّ الأقباط حتى القرن التاسع عشر الميلادي، يُدعَون بأهل الذِّمَّة، وكانت الجزية تُفرض عليهم نظير إعفائهم من الخدمة العسكريَّة، إذ لم يكن مسموحًا لهم بالانضمام لصفوف الجيش. وقد أُلغيت الجزية تمامًا في عهد محمد سعيد باشا، كما انتظم الأقباط في الجيش منذ عصر الخديوي إسماعيل باشا.

+ صَدَر الخط الهمايوني الشهير في سنة ١٨٥٦م، وذلك في سياق الصِّراع بين الدولة العثمانيَّة والقوى الأوروبيَّة الصاعدة، لإثبات مرونة الدَّولة تجاه رعاياها من غير المسلمين. ومن بين بنوده أن يستصدر الأب البطريرك رخصة من "الباب العالي" (أي السلطان العثماني)، بعد تقديم طلب له للسَّماح ببناء كنيسة. وقد استُخدِمَ الخط الهمايوني في غير

---

(١) نتابع في هذا العدد تقديم موجز عن التاريخ اللّيتورجي لكنيسة الإسكندريَّة، وهو عن كتاب بنفس الاسم، صَدَرَ في جزئين سنة ٢٠١٨م، في حوالي ٨٣٠ صفحة. الكتاب الأول، عن العشرة قرون الأولى؛ والثاني، عن العشرة قرون الثانية، للراهب القس أثناسيوس المقاري.

مغزاه، فصار بناء أيِّ كنيسة في مصر، مرتبطًا بموافقة الحاكم شخصيًّا، مع ما يُصاحِب ذلك من عقباتٍ في كثيرٍ من الأحيان. وبعد سقوط الدولة العثمانيَّة، بكلِّ تشريعاتها، ظلَّ هذا القانون ساري المفعول (وإن كان قد تغيَّر الآن بصدور قانون بناء الكنائس)، وأُضيف عليه فيما بعد قانون "البنود العشرة لبناء الكنائس"، والذي صَدَرَ بقرارٍ من العزبي باشا وكيل وزارة الداخلية، سنة ١٩٣٤م.

+ يعود الفضل للخديوي إسماعيل باشا لتصبح القاهرة من مدينة تعيش في ظلام العصور الوسطى، إلى مدينة تُضاهي المدن الأوروبيَّة. وفي عهده تمَّ انتخاب أول برلمان مصري سنة ١٨٦٦م، ودخل فيه الأقباط أسوة بإخوانهم المسلمين.

+ في سنة ١٨٧٥م، أُلغي العمل بالتَّقويم الهجري واستُبدِلَ بالتَّقويم الميلادي.

+ بدأ من منتصف هذا القرن ظهور كثير من الطوائف المسيحيَّة في القاهرة وأسيوط مثل: المشيخيَّة والبروتستانتيَّة والبلاموس والإصلاح والسبتيين وغيرها من الطوائف.

+ أعاد البابا كيرلس الخامس افتتاح مدرسة الإسكندريَّة اللاهوتيَّة تحت اسم الكليَّة الإكليريكيَّة سنة ١٨٩٣م بحي مهمشة بالقاهرة (واستمرت بهذا المكان طيلة ٦٠ سنة، أي حتى سنة ١٩٥٣م، حيث انتقلت إلى مقرِّها الحالي بالأنبا رويس بالقاهرة).

في التراث الأدبي والفني للكنيسة:

+ قام البابا كيرلس الرابع سنة ١٨٦٠م باستيراد أول مطبعة من الخارج، في عهد الوالي سعيد باشا.

+ اعترض البابا كيرلس الرابع على المُبالغة الزائدة في تكريم الأيقونات، دحضًا للخرافات التي كانت سائدة في أيامه.

+ تُرجم الكتاب المقدَّس إلى اللُّغة العربيَّة، سنة ١٨٦٥م، بواسطة القس سميث ودكتور كُرنيليوس فاندايك، وهي التَّرجمة المعروفة لدينا حتى اليوم باسم "التَّرجمة البيروتيَّة".

+ ظهر في هذا القرن الإيغومينوس فيلوثاوس إبراهيم (١٨٣٧- ١٩٠٤م). وقد تخرَّج من مدرسة الأقباط التي أنشأها البابا كيرلس الرابع. وكان يُتقن القبطيَّة والعربيَّة والإيطاليَّة. ونظرًا لسعة علمه وذيوع شهرته في الوعظ وبراعته في الدفاع عن عقائد الكنيسة القبطية، انتقل من خدمته في طنطا إلى الكاتدرائيَّة المرقسيَّة القديمة بالقاهرة. وقد قام بطباعة كثير من

الكُتُب الكنسيَّة. ويرجع إليه إدخال طقس "تمثيل القيامة"، وهو في الأصل من طقس الكنيسة اليونانيَّة، وكان ذلك بإذن من البابا كيرلس الخامس. كما قام بتأليف لحن "يا كل الصفوف السمائيين"، مستوحيًّا كلماته من ألحان القيامة، بالتعاون مع المعلِّم ميخائيل البتانوني كبير مُرتِّلي الكنيسة المرقسية. وقد نال هذا القمص نياشين من الخديوي توفيق، والخديوي عباس حلمي الثاني، وكان أباطرة إثيوبيا يُكرِّمونه إكرامًا عظيمًا.

النصف الأول من القرن العشرين

أهم الحوادث التي وقعت فيه وارتباطها بالكنيسة:

+ صدور دستور سنة ١٩٢٣م، الذي ينصُّ على أنَّ دين الدَّولة الرسمي هو الإسلام.

+ إصدار العزبي باشا وكيل وزارة الدَّاخليَّة سنة ١٩٣٤م، الشروط العشرة لبناء الكنائس.

+ بداية هجرة موجات مُتلاحقة من عائلات قبطية إلى أمريكا وكندا واستراليا.

+ أنشأ مرقس سميكة باشا سنة ١٩١٠م المتحف القبطي، وكان أولًا تابعًا للبطريركيَّة، ثم أصبح تابعًا لمصلحة الآثار.

+ قامت نهضة كنسيَّة في عصر البابا كيرلس الخامس (١٨٧٤- ١٩٢٧م)، وتمَّت طباعة كثير من كُتُب الصلوات الكنسيَّة.

+ ظهور أول مجلة قبطيَّة سنة ١٩١٤م. وظهرت مجلة "الفردوس" للقس منسَّى يوحنا (١٩٣٠م)، و"مجلة صهيون" التي أسَّسها الأُسقف إيسيذوروس (١٩٤٢م).

+ وفي أيام البابا كيرلس الخامس، امتلكت الكنيسة عشرات المدارس الابتدائية والثانويَّة للبنين والبنات في القاهرة وعواصم الأقاليم.

+ نشأت في عهد البابا كيرلس الخامس أيضًا الجمعيات الأهليَّة المسيحيَّة لأول مرة.

+ تدوين الموسيقى القبطية تدوينًا علميًّا على يد الدكتور راغب مفتاح. هذا القبطي الأصيل المُحب لألحان كنيسته، والذي أفنى حياته وأمواله في دراسة الموسيقى القبطيَّة، ودعوة العلماء الأجانب لزيارة مصر لتدوين القدَّاس الباسيلي بكلِّ ألحانه، بالنُّوتة الموسيقيَّة الصوتيَّة، شاملًا النص باللُّغات القبطيَّة والإنجليزيَّة والعربيَّة.

بحث تاريخي

كنائس قبطية باسم القديس يوحنا المعمدان في مصر

(٢)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي

أستاذ الآثار والفنون القبطية

ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب – جامعة عين شمس

نستكمل الإشارة إلى كنائس قبطية أُخرى باسم القدِّيس يوحنا، ولكن ليس يوحنا المعمدان:

٣- كنائس القدِّيسَيْن يوحنا وأبا كير: شُيِّدت لهذين القدِّيسَيْن كنيسة أو مقصورة صغيرة في كنيسة القدِّيسة بربارة الأثرية في مصر القديمة، وأُخرى في دير القدِّيس تادرس المشرقي في منطقة بابيلون الدَّرج، كما سبقت الإشارة في مقالتنا التي نُشِرت في شهر يونية ٢٠٢١[١].

نماذج مختارة من أهم التُّحف الأثرية المُزدانة بأشكال القدِّيس يوحنا المعمدان:

وتزخر التُّحف الأثرية المحفوظة في الأديرة والكنائس القبطية، وفي كثير من المتاحف الأثرية العالمية، بأشكال القدِّيس يوحنا المعمدان. ففي المتحف القبطي بالقاهرة، توجد حشوة خشبية صغيرة ومكسورة جزئيًّا، ترجع إلى القرن الخامس الميلادي – السابع الميلادي، ويظهر عليها قدِّيسون بدون هالات دينية[٢] (الشكل رقم ٣).

الشكل رقم ٣. منظر العماد في نهر الأردن على حشوة خشبية صغيرة في المتحف القبطي بالقاهرة، القرن الخامس الميلادي – القرن السابع الميلادي. تصوير السيِّد / مكرم مصوِّر المتحف القبطي، عام ٢٠٠٣.

(١) شيرين صادق الجندى، "كنائس مكرَّسة للقدِّيسَيْن أبا كير ويوحنا"، *مجلة مرقس*، العدد (٦٢٥)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادى النطرون (يونية ٢٠٢١)، ص ٣٦-٤٠.

(2) SHERIN SADEK EL-GENDI, "Les bois coptes et leur influence sur les bois islamiques de l'époque fâtimîde. Étude technique et artistique", *PhD. Thesis*, Faculty of Arts / ᶜAin Shams University, vol.2, Cairo, 2004, 46, pl. XXXVII.

وقوام زخرفتها منظر عماد السيِّد المسيح في نهر الأردن. فيظهر القدِّيس يوحنا المعمدان واضعًا يديه على رأس السيِّد المسيح التي يعلوها طائر ناشرًا جناحيه، ويبدو وكأنه ينزل من السماء – في وضع عمودي – في إشارة إلى الروح القدس. ويمكن رؤية الحرف اليوناني X (Khi) يسار رأس السيِّد المسيح، الذي نُقِش جسده في الجزء المفقود من هذه الحشوة الخشبية، التي تُعَدُّ من أقدم التُّحف الخشبية الأثرية التي يظهر عليها هذا المنظر الزخرفي الهام، على خلفية خالية تمامًا من الزخارف. ونُقِشَت جميع العناصر الزخرفية نقشًا بارزًا على هذه الحشوة. وعلى الرغم من الدقة في نقش تفاصيل جسد الطائر والأشكال الآدمية التى تظهر في هذا المنظر الزخرفي، إلَّا أنَّ ملامح وجه القدِّيس يوحنا غريبة إلى حدٍّ ما. وبصفةٍ عامة، تتنوَّع الموضوعات الزُّخرفية التي تُزيِّن التُّحف الخشبية[٣] القبطية المعروضة حاليًّا في المتحف القبطي بالقاهرة، وفي غيره من المتاحف الأثرية العالمية المحفوظ بها كثير من التُّحف الأثرية القبطية.

---

(3) M.H. RUTSCHOWSCAYA, "Essai d'un catalogue des bois coptes du musée du Louvre - Les bois de Baouit", *ReArch*.2, Paris (1978), 295-318; M.H. RUTSCHOWSCAYA, "Introduction à l'étude des bois coptes du musée du Louvre", *Enchoria* 7, (1978), 123-125; M.H. RUTSCHOWSCAYA, "Les bois d'Antinoé au Musée du Louvre", *Acts of the Second International Congress of Coptic Studies*, Roma 22-26 September 1980, Roma, 1985, 293-305; M.H. RUTSCHOWSCAYA, *Catalogue des bois de l'Égypte copte*. *Musée du Louvre-Bois de l'Égypte copte*, préface de P. DU BOURGUET, Paris, 1986; M.H. RUTSCHOWSCAYA, "Coptic Woodwork", in: A.S. ATIYA (ed.), *the Coptic Encyclopedia*, vol.7, New York, 1991, 2325b-2347b; G. GABRA, *The Coptic Museum and Old Churches*, with Contributions by ANTHONY ALCOCK, the Egyptian International Publishing Company-Longman, Cairo, 1993; D. BENAZETH & G. GABRA, "Boiseries du Musée copte déposés au Musée national de Port-Saïd", *BSAC* 33, Cairo (1994), 63-68, pls. III-VII; *L'ART COPTE EN ÉGYPTE 2000 ANS DE CHRISTIANISME*, exposition présentée à l'institut du monde arabe du 15 mai au 3 septembre 2000 et au Musée de l'Ephèse au Cap d'Agde du 30 septembre 2000 au 7 janvier 2001, Paris, 2000; SHERIN SADEK EL-GENDI, "Les bois coptes et leur influence sur les bois islamiques de l'époque fâtimîde. Étude technique et artistique", *PhD. Thesis*, Faculty of Arts / [c]Ain Shams University, 2 vols, Cairo, 2004; J. AUBERT DE LAPIERRE & A. JEUDY, *Catalogue général du Musée Copte du Caire. Objets en bois I*, *BEC* 26, Le Caire, 2018; SHERIN SADEK EL-GENDI, "The Coptic Woodwork Displayed at the Antiquities Museum of the Library of Alexandria", *BSAC* 58, Le Caire (April 2019), 37-64; SHERIN SADEK EL-GENDI, "Three Wooden Artifacts from the Museum of Antiquities in the Bibliotheca Alexandrina", *BSAC* 60, Cairo, (October 2021), 33-45.

كما تتعدَّد الأساليب الصناعية لكلٍّ هذه التُّحف الخشبية ما بين المنقوشة نقشًا بارزًا أو المُفرَّغة أو المحزوزة أو المطليَّة أو المُطعَّمة بالعاج والأبنوس.

ويتكرَّر هذا الموضوع الزخرفي الهام في زخارف كثير من التُّحف الأثرية القبطية، وبالأخص المخطوطات والرسومات الجدارية والأيقونات.

فعلى أيقونة من أيقونات المتحف القبطي بالقاهرة، نرى القدِّيس يوحنا المعمدان وهو يُعمِّد السيِّد المسيح في نهر الأردن[٤] (الشكل رقم ٤). وتتميَّز هذه الأيقونة دون سائر الأيقونات المعروضة في المتحف القبطي، بأنَّ لها إطارًا خارجيًّا ثريًّا بالزخارف المعمارية والنباتية المُذهَّبة. فمن أعلى الأيقونة، يرتكز عقد نصف دائري على عمودين صغيرين لهما قواعد وتيجان نباتية. وداخل هذين العمودين يظهر منظر العماد، حيث يقف القدِّيس يوحنا المعمدان بحجمٍ كبير على شاطئ النهر، وهو يضع يده اليُمنَى على رأس السيِّد المسيح الذي يضع يديه على صدره وهو يقف في وسط النهر. وفوق رأسه، يظهر الطائر الذي يرمز إلى الروح القدس. ونرى المسيح والقدِّيس يوحنا المعمدان بهالاتهما الذهبية، وبملامح وجوه وشعر طويل بُني اللون مُنسَدِلًا على الأكتاف والظهر. وقد أبدع الفنان الذي رَسَم الأيقونة في اختيار الألوان الخلفية بحِرفيَّة شديدة وبتناغُم ملحوظ، ليُعبِّر عن جمال الطبيعة الخلَّابة التي تُحيط بهما. ويُلاحَظ عدم وجود تناسُق في النِّسَب التشريحيَّة بين رأس القدِّيس يوحنا المعمدان الصغيرة وبين ضخامة جسده.

الشكل رقم ٤. أيقونة العماد في نهر الأردن - المتحف القبطي بالقاهرة، القرن التاسع عشر الميلادي.

THE ICONS. CATALOGUE GENERAL DU MUSEE COPTE, Supreme Council of Antiquities Press, Cairo, 1994, 103, nº114, pl. 29/b.

وعلى أيقونة أُخرى في نفس المتحف، تظهر رأس القدِّيس يوحنا المعمدان المقطوعة

(4) Nº3471. Dimensions: 19,1 x 25,0 (27,5 x 31,3 x 2,5) cms. Offered by the daughter of JACOB IRSHIN Pasha or a gift from Mrs. LIMONGELLI. *THE ICONS. CATALOGUE GENERAL DU MUSEE COPTE*, Supreme Council of Antiquities Press, Cairo, 1994, 103, nº114, pl. 29/b.

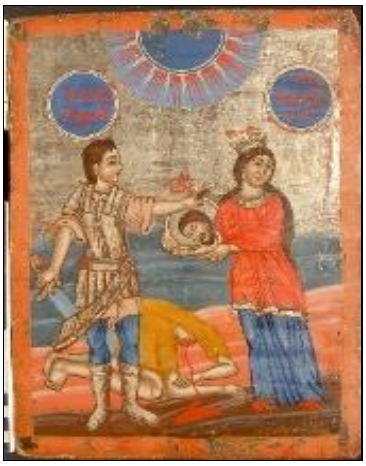

الشكل رقم ٥. أيقونة الجندي الروماني وابنة هيروديا - المتحف القبطي بالقاهرة، القرن الثامن عشر الميلادي.

THE ICONS. CATALOGUE GENERAL DU MUSEE COPTE, Supreme Council of Antiquities Press, Cairo, 1994, 83, nº 91, pl. 22/c.

ليُقدِّمها الجندي الروماني إلى ابنة هيروديا (الشكل رقم ٥)[٥]. ووفقًا لملامح وجه الجندي، نراه شابًا في مقتبل العمر يمسك في يده اليُمنى السيف الطويل الذي قتل به القدِّيس يوحنا المعمدان. ويظهر الجندي الروماني واقفًا وناظرًا في اتجاه ابنة هيروديا ليُقدِّم لها رأس القدِّيس يوحنا المعمدان المُلتحي، وهي تمسك برأس القدِّيس المُحاطة بهالة دينية بكلتا يديها مُلتفتة إلى الخلف بشعرها الطويل بُنى اللون والمُنسَدِل على أكتافها. وهي ترتدي رداءً طويلًا أزرق اللون يعلوه رداء آخر لونه أحمر. وكُتِب اسم القدِّيس يوحنا المعمدان باختصار باللغة القبطية فوق رأسه بالمداد الأحمر. وأسفل أقدام الجندي الروماني، يظهر جسد القدِّيس يوحنا المعمدان مُلطَّخًا بالدماء بعد أن تمَّ قطع رقبته واستشهاده.

ويُلاحَظ أنَّ ملامح وجوه الأشكال الآدمية الثلاثة مرسومة بدقةٍ ووضوح وعناية فائقة. وتعكس جميع العناصر الزخرفية لهذه الأيقونة، التأثيرات البيزنطيَّة التي تتجلَّى بوضوح في ملامح الوجوه وفي تفاصيل الملابس.

وعلى أيقونة ثالثة في ذات المتحف (الشكل رقم ٦)، يظهر القدِّيس يوحنا المعمدان واقفًا من الأمام في كامل قوَّته الجسدية بملابس طويلة وواسعة على هيئة ملاك له جناحان. وتُحيط برأسه هالة دينية كبيرة. وهو يرتدي رداءً بُني اللون بأكمامٍ قصيرة تعلوه عباءة طويلة خضراء اللون، تمرُّ على كتفه الأيسر وتلتفُّ حول خِصْره. وهو يرفع يده اليُمنى كتقليد للسيِّد المسيح الذي يمنح البركة. وفي يده اليُسرَى، يمسك القدِّيس يوحنا المعمدان بكأسٍ كبيرة وُضِعَت فيها رأسه بعد أن تمَّ قطعها بواسطة الجندي الروماني. كما يمسك في يده اليُسرى أيضًا ببرديَّة مفتوحة عليها بعض الآيات الإنجيلية[٦]. وفي الركن العلوي للأيقونة، وعلى يمين

(5) Inv. nº6991. Dimensions: 26,5 x 35,0 x 2,6 cms. Presented by Gabriel Bey Awad Nawar, May 9th 1941. *THE ICONS. CATALOGUE GENERAL DU MUSEE COPTE*, Supreme Council of Antiquities Press, Cairo, 1994, 83, nº91, pl. 22/c.

(٦) مت ٣: ٢، ١٠.

رأس القدِّيس يوحنا المعمدان، يُشاهَد السيِّد المسيح بهالته الدينية المُزيَّنة بالصليب، وهو ينظر في اتجاه القدِّيس يوحنا المعمدان، ويمنح المسيح البركة بيُمناه ويمسك الكتاب المقدَّس بيُسراه.

الشكل رقم ٦. أيقونة القدِّيس يوحنا المعمدان - المتحف القبطي بالقاهرة،

THE ICONS. CATALOGUE GENERAL DU MUSEE COPTE,
Supreme Council of Antiquities Press, Cairo, 1994.

وهكذا تتنوَّع الأساليب الصناعية والمناظر الزخرفية للأيقونات المحفوظة في المتحف القبطي بالقاهرة، وفي غيره من مختلف المتاحف الأثرية العالمية، وفقًا للسِّمَات المُميِّزة للمدارس الفنية المختلفة، لمشاهير الفنانين الأقباط والروم والشوام والأرمن، الذين رسموها، والذين عاشوا في القرن الثامن عشر الميلادي – التاسع عشر الميلادي، أمثال: يوحنا الأرمني، وإبراهيم الناسخ، وأنسطاسي الرومي المصوراتي القدسي، والفنان القمص منقرويوس أو مرقوريوس جرجس، وكيرلس، وجرجس الرومي، وجرجس بن حنانيا؛ بالإضافة أيضًا إلى مُبدِعين آخرين عاشوا في القرن العشرين وطوَّروا في فن الأيقونات، أمثال: الفنان العالمي إيزاك فانوس[٧]، ويوسف نصيف وزوجته بدور لطيف[٨]، وغيرهم الكثيرون. **(يتبع)**

(7) C. CHAILLOT & M. RENÉ, "Le Maître de l'iconographie copte contemporaine: Isaac Fanous", *le Monde Copte* 19, Paris (1991), 5-15.

(8) C. CHAILLOT, "L'icône, sa vehération, son usage d'après des récits de Wansleb au XVII^{e} siècle", *le Monde Copte* 18, Paris (1990), 81-88;

شيرين صادق الجندي، "الأيقونة القبطية حوار على مر *العصور*" (الأيقونة القبطية بين الأصالة والمعاصرة)، المتحف القبطي، ٢٥-٢٦ نوفمبر ٢٠١٥، *مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، القاهرة*، ٢٠١٥، ص ٢٣٠-٢٦٢.

دراسات عن المسيحية في العصور الأولى

الإيمان بالثالوث[١]

الفكر اللاهوتي الكتابي

للكنيسة الجامعة في القرون الأولى

(١)

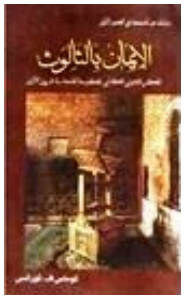

إنَّ عقيدة الثالوث القدوس، الآب والابن والروح القدس، هي الأساس الراسخ للمسيحيَّة. لذا فإنَّ قانون الإيمان النيقوي كان في جوهره ثالوثيًّا، إذ كان مركز الاعتراف بالإيمان يدور حول إعلان الوحدانيَّة في ذات الجوهر بين أقانيم الثالوث. وهذه العقيدة – الله الواحد المثلَّث الأقانيم – ليست من اختراع بشر، بل هي الحقيقة التي أعلنها لنا الله بنفسه.

والإنسان لا يستطيع أن يصل إلى هذه الحقيقة بنفسه، إذ هي قد أُعطيت للإنسان. فالله هو الذي أعلن ذاته بذاته للإنسان بيسوع المسيح في الروح القدس.

وكتاب: "الإيمان بالثالوث" يعرض لنا الفكر اللاهوتي الكتابي للكنيسة الجامعة في القرون الأولى، وذلك من خلال تقديمه لقانون الإيمان في ضوء تعاليم وكتابات آباء الكنيسة الشرقيَّة في عصرها الذهبي، مُبرزًا دور آباء كنيسة الإسكندرية، وبالأخص القدِّيس أثناسيوس، في شرح عقيدة الثالوث القدوس، بكونه "جوهر واحد، ثلاثة أقانيم".

وقد اعتبرت الكنيسة العلاقة الأزليَّة بين الآب والابن هي الحقيقة العُظمى التي يعتمد عليها كلُّ شيء في الإنجيل، لأن يسوع المسيح هو نفسه مُحتوى إعلان الله الفريد عن ذاته للبشرية.

يتناول **الفصل الأول،** أهمية الإيمان والتقوى، لتفسير الكُتُب المقدَّسة. لم يكن الفكر اللاهوتي للكنيسة منذ البداية مجرد مجموعة من الحقائق الإيمانية، وإنما كان حقًّا مُجسَّدًا فيها، بحيث إنَّ معرفة الله وعبادته مع الطاعة اليومية للإيمان، كانت كلها متداخلة بعضها مع البعض الآخر. وقد ركَّز هذا الفصل على ق. إيرينيئوس وأوريجانوس. فقد أوضح إيرينيئوس، أنه فقط في إطار الإيمان المُسلَّم للكنيسة والمُتمثِّل في التقليد الرسولي – كوديعة مُتجدِّدة – نستطيع أن نُفسِّر الكُتُب المقدَّسة بأمانة، بما فيها من حقيقة الخلاص المُعلَن في الإنجيل. أمَّا أوريجانوس، فقد أكَّد على ضرورة أن يكون فكر الإنسان تجاه الله وقورًا وتقويًّا، وهذا يحتاج إلى تدريبٍ روحي على التقوى، حتى يمكن تفسير أسفار العهدَيْن القديم والجديد.

---

(١) الكتاب صادر عن مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة ثانية مُنقَّحة: نوفمبر ٢٠١٠م، ويقع الكتاب في ٣٩٠ صفحة. تأليف: توماس ف. تورانس، ترجمة: دكتور عماد موريس إسكندر، مراجعة: دكتور جوزيف موريس فلتس.

الفصل الثاني والفصل الثالث، يتناولان التعليم العقائدي عن الله الآب ومعرفتنا له بكونه آبًا وخالقًا. وقد عبَّر ق. أثناسيوس عن مفهوم آباء نيقية عن هذا الموضوع بقوله: [إنه يكون أكثر تقوى أن نتعرَّف على الله من خلال الابن، وندعوه "الآب" عن أن نُسمِّيه من خلال أعماله فقط، وندعوه "غير المخلوق"]. فإذا أردنا أن نعرف الله (الآب) بطريقةٍ مُحدَّدة ودقيقة، فإننا يجب أن نعرفه وفقًا لطبيعته كما أعلنها هو في يسوع المسيح ابنه المُتجسِّد، الذي فيه لم يُعطِنا شيئًا من ذاته، بل صميم ذاته.

إننا في المسيح نستطيع أن نعرف الله في كيانه الذاتي الداخلي بكونه آبًا وابنًا وروح قدس. والسيِّد المسيح هو المبدأ لكلِّ معرفتنا عن الله، وما صنعه وما يزال يصنعه في الكون. لذا فإنَّ الفهم المسيحي للخلق لا بد أن يكون من مُنطلق علاقة الابن المُتجسِّد بالآب، لأن أُبوَّة الله المُعلَنة في الابن هي التي تُحدِّد كيف نفهم الله كخالق وضابط الكل، وليس العكس!

الفصل الرابع، يعرض التعليم عن المسيح ابن الله المُتجسِّد. فإذا كانت علاقة الآب بالابن تحتل مكانًا مركزيًّا وأوَّليًّا في الفهم المسيحي لله والعالم والإنجيل، فإنَّ كلَّ شيء يعتمد بالتحديد على كيفيَّة فهمنا لعلاقة يسوع المسيح ابن الله المتجسِّد بالآب.

هل يسوع المسيح هو "من الله" بنفس الطريقة التي نقول بها إنَّ الكون هو "من الله"؟ أي: هل هو مخلوق من الله ويعتمد عليه في وجوده واستمراريته؟ هل ابن الله نفسه جاء إلى الوجود نتيجة عمل وإرادة الله، أم هو كائنٌ أزليًّا في الله، بكونه ابنًا للآب، وله ذات الجوهر الواحد والطبيعة الواحدة معه، وبالتالي هو ليس مثل الخليقة التي تختلف في كيانها وطبيعتها عن الله؟ وإذا نحن فصلنا بين المسيح والله الآب في الجوهر، فإنَّ ذلك سوف يهدم صميم الإيمان المسيحي كلّه. لأنه إذا كان ما يفعله المسيح في غفران الخطايا – مثلًا – ليس هو ما يفعله الله، تكون المغفرة هنا لا قيمة لها وليست حقيقية. وإذا لم يكن الله ذاته هو الذي أتى واتَّحد بنا بتجسُّده، فإنَّ محبته حينئذ تكون قاصرة؛ بل ليست محبة على الإطلاق. وأيضًا، إذا لم يكن الله ذاته هو الذي مات بالجسد لأجلنا على الصليب، فإنَّ ذبيحة المسيح تكون بلا قيمة. وإذا لم يكن يسوع المسيح واحدًا في ذات الجوهر مع الله الآب، فإننا بالحقيقة لا نعرف الله؛ بل يكون الله عندنا إلهًا غامضًا ومخفيًّا وراء المسيح. وهكذا فإنَّ فصل يسوع المسيح عن الله الآب في الجوهر والعمل، إنما يجعل رسالة الإنجيل فارغة ومُزيَّفة. ولكن إن كان المسيح له ذات الجوهر الواحد مع الله الآب، فإنَّ كلَّ ما فعله وقاله لأجلنا يكون له أهمية كبرى بالنسبة لنا وللخليقة كلّها. **(يتبع)**

- **الاحتفال بإظهار تفاصيل وجه الربِّ يسوع بواسطة الذكاء الاصطناعي.**
- **افتتاح كنيسة للسريان الأرثوذكس في اسطنبول بحضور الرئيس التركي أردوغان في ٨ أكتوبر ٢٠٢٣.**

⁂

الاحتفال بإظهار تفاصيل وجه الربِّ يسوع بواسطة الذكاء الاصطناعي:

بمناسبة الذكرى الـ٩٠ على عرض قماش كفن تورينو (قطعة من الكتان يُقال إنَّ السيِّد المسيح قد كُفِّن بها أثناء دفنه) لأول مرة في المَصْلَى الملكي بكاتدرائية سان جيوفاني باتيستا في مدينة تورينو الإيطالية، والذي يرجع تاريخ اكتشافه إلى٦٠٠ عام؛ قرَّرت صحيفة "ديلي ستار" الاحتفال بإظهار تفاصيل وجه الرب يسوع بواسطة الذكاء الاصطناعي.

فقد استعانت صحيفة "ديلي ستار" بمعمل "ميديجورني"، وهو معمل أبحاث مستقل ويُنتج برنامج ذكاء اصطناعي خاص ومفتوح المصدر، ويُنشئ صورًا من الأوصاف النصِّيَّة؛ وذلك لمعرفة كيف كان شكل الربِّ يسوع الحقيقي من خلال قطعة كفن تورينو! حيث يدَّعي البعض أنَّ هذه القطعة المُثيرة للجدل، تُظهِر الوجه الحقيقي للسيِّد المسيح بعد أن تمَّ لفها حوله بعد صلبه.

توضِّح الصُّور المُعدَّة بالذكاء الاصطناعي، وجهًا نابضًا بالحياة لِمَا تعتقد منظمة العفو الدولية أنه يبدو عليه يسوع، مُقارنةً بقطعة القماش الأصليَّة التي يبلغ طولها ١٤ قدمًا (٤,٢ مترًا) . فيظهر في الصورة رجل ذو شعرٍ طويل ولحية، وعيناه مفتوحتان وينظران إلى الخارج مباشرةً. كما يمكن أيضًا رؤية جزء من جسده. لقد تمَّ الكشف عن قماش كفن تورينو لأول مرة للجماهير منذ حوالي ٦٠٠ عام. **(عن: صدى البلد)**

⁂

افتتاح كنيسة للسريان الأرثوذكس في اسطنبول
بحضور الرئيس التركي أردوغان في ٨ أكتوبر ٢٠٢٣:

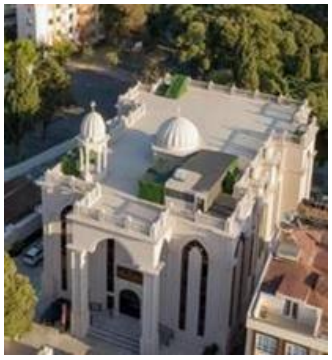

افتُتحت في اسطنبول بتركيا كنيسة للسريان الأرثوذكس، بحضور الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، في خطوة هي الأولى من نوعها، لاقت ترحيبًا من المسيحيين في جمهورية تركيا ذات الأغلبية المسلمة، التي تأسَّست عام ١٩٢٣.

عشية الافتتاح، قال رئيس وقف السريان الأرثوذكس في اسطنبول "سعيد سوسين" لوكالة "فرانس برس": "هذه هي الكنيسة الأولى التي يتمُّ بناؤها منذ تأسيس الجمهورية التركية والتي ستفتح أبوابها، نحن سعداء للغاية".

وتقع كنيسة القدِّيس أفرام للسريان الأرثوذكس، المبنيَّة بتمويل من أبناء الطائفة التي يبلغ تعداد أفرادها ١٧ ألف شخص، على الجانب الأوروبي من مضيق البوسفور، في منطقة "يشيل كوي"، حيث تُقيم غالبية المسيحيين السريان في تركيا. وصُمِّم بناء الكنيسة الأبيض الواقع في حيٍّ تُغطِّيه الأشجار، لاستيعاب ٧٥٠ من أبناء الرعيَّة. وكان الرئيس التركي قد أَمَرَ بلدية اسطنبول بتخصيص أرضٍ لبناء الكنيسة، ووضع حجر الأساس خلال حفلٍ أُقيم في آب/ أغسطس ٢٠١٩.

وكان من المُقرَّر افتتاح كنيسة القدِّيس أفرام في شباط/ فبراير الماضي (٢٠٢٣)، لكن تمَّ تأجيله بسبب الزلزال القوي الذي دمَّر أجزاء جنوبي البلاد، وأدَّى إلى مقتل ما لا يقل عن ٥٠ ألف شخص، كما دمَّر أنطاكية التي ترتبط بتاريخ المسيحية. وتُعَدُّ كنيسة القدِّيس أفرام هي أول كنيسة تُبنى في تركيا منذ تأسيس الجمهورية التركية على يد مصطفى كمال أتاتورك، حسبما أفاد سعيد سوسين. **(عن صحيفة: الخليج)**

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

In this issue, Father Matta continues his reflections on new verses, delving in two important commandments stated in the Sermon on the Mount, showing his viewpoint on these matters. Enjoy! Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 21

"But I say to you that whoever looks at a woman to lust for her has already committed adultery with her in his heart"

(Matthew 5:28).

THE LUSTFUL LOOK was laid by Satan in Eve's eye; she looked at the forbidden fruit and willfully desired it, because the enemy made and always makes things that he sneaks before the eye extremely beautiful and loveable to the little soul, so that the eye desires them, the heart responds and the hands carry out. The first motive to sin was planted by the enemy in the eyes and heart and he made desire a tyrant master, and subjected the eye and the heart as slave to lust. It is difficult for the naïve person, who is too busy to guard himself, to resist the motive of lust which the enemy causes to subjugate and defeat the will.

Desire is a natural instinct without which man would neither eat nor drink, nor would he marry or bear children. Thus, the instinct of desire is rooted in the human nature to force man to practice natural life. So, whoever loses the instinct of desire is cut off of life, for it is built on desire. And here, Satan takes advantage of the natural instinct of the desire to eat and drink the forbidden. He breaches the quiet, natural life in man and ignites in him strange and damaging instincts, the most destructive of which is adultery. For he takes advantage of the natural desire of man, that was set to aid marriage and procreation, to make it serve pleasure with a gushing force that subjugates the foolish man to do what ought not be done.

Strikingly, God made the mating nature meticulously guarded so that desire matches the time suitable for child-bearing. If God determined in the nature of woman that she not meet with man except at a specific time during the month, then the instinct of child-bearing becomes secured by nature. Nevertheless, with the uproar of desire in man and woman, the cycle of procreation becomes breached and unrestricted, where man meets with woman at any time against nature and its work.

Thus, the process of procreation turns into serving the instinct of a raving desire that

is driven by the love of adultery and sexual pleasure.

And so, adultery started serving desire, and desire sin, and sin serves resistance against God's economy. Here, adultery enters into resisting the economy of God in man's procreation, thus becoming the greatest crime against procreation which was deemed to have been meticulously placed by God for the benefit of humanity.

When God says, "Thou shalt not commit adultery", He is like one trying to protect the wellbeing of conception for man's own good. Here, the commandment is laid with great precision to open the mind of man for his soul's own welfare and respect of God's economy that was laid with great wisdom, grace and insight, leading to man's well-being.

Nevertheless, when desire is ignited in man, he becomes blinded to whatever is truth and virtue, and he sinks below the level of animals, because animals abide by the drive of nature, where the male does not mate with the female unless the female is in a state ready for conception.

We lately learned about a disease that is quite new for humanity, unheard of in times past, namely the disease known by "AIDS". What is AIDS, and how did it enter forcibly into humanity, except through the depravity and immorality of a group of young Americans who were working in middle Africa, who burnt with adulterous lust and slept with a species of monkeys infected with this disease, and so the disease was transmitted from animal to man, and oppressed him with the utmost oppression as it has no cure till this day. Thus, the disease entered America, then it was spread throughout the world, and snuck into Egypt. And Egypt started suffering extremely from AIDS, which is a sexual scandal that afflicted man toward the ends of time as a direct result of the absence of virtue, wisdom and reason, and sinking into the base of beastly instinct.

Finally, we offer advise to all who read and hear us, that AIDS spread in Egypt and throughout the world as a result of males burning with adulterous lust toward males, likewise in women; thus, humanity became afflicted with a dreary disaster from which it cannot flee; only God can have mercy on His people and grant us holiness and piety.

December 21, 2005

Chapter 22
"[W]hoever divorces his wife for any reason except sexual immorality causes her to commit adultery; and whoever marries a woman who is divorced commits adultery" (Matthew 5:32).

WE TALKED EARLIER about the danger of adultery and the ruin it bore and still bears on humanity. Here, Christ explains how adultery enters by way of man's divorce of the woman, for by this he causes her to commit adultery. Thus, it is impermissible for a man to divorce his wife except if he knew that she commits adultery. If he confirms that with witnesses, then it is permissible for him to divorce her.

Then the Lord branched off to the fact that if man marries a divorced woman, he would be committing adultery, for a divorced woman was divorced based on the fact that she was

committing adultery. In other words, since the divorced woman is an adulterer, a man who marries her is considered to be committing adultery. All of this discretion is for the health and wellness of procreation and lawful conception. For the commandments of Christ always aim for the well-being of man's life, a happy and righteous life that prepares him for eternal life in God's kingdom.

Therefore, complete abstinence from whatever is adultery leads to a life of purity and piety, which is the utmost that Christ asks of those who believe in Him so that they may be eligible for partaking of His inheritance in His eternal kingdom. For all of the commandments of Christ sprinkle goodness and man's happiness on earth, and Christ did not put them to be a burden or yoke on man, rather He points out that "My yoke is easy, and My burden is light"[1]; how? Christ never gives a commandment without accompanying it inevitably with help and grace that support the one who abides by it. Here He says, in truth and confidence, "My yoke is easy, and My burden is light", for He is the one who puts it and He is the one who carries it for us.

Indeed, laying of man's sins by the Father on Christ made Him pray and pray and pray, and supplicate with weeping and tears that fell from His eyes with drops of sweat like blood, that the Father may exempt Him from bearing actual sins like adultery and blasphemy. How can the Beloved Son endure it and stand before the Father as an adulterer, blasphemer and murderer? These sins especially distressed His soul within Him and grieved Him with the utmost grief, and He supplicated three times earnestly and tearfully that the Father may remove from Him this cup that made Him cursed with the curse of the cross[2], and made Him to be sin when He committed no sin[3]. Yet, since He came down from heaven from the Father to redeem humanity and save it from its sins, He finally told the Father that if this be Your will, let it be done and not mine[4]. Thus, He carried the cross and became "sin for us, who knew no sin"[5], and He whose life was as white as light "[became] a curse"[6], because He accepted the cross concerning which the old covenant said that "everyone who hangs on a tree [the cross]"[7] is cursed. All this to redeem sinners, adulterers, murderers and the accursed, to save them from all their sins, nay to make them fit to be partakers of the resurrection, glory and eternal life.

Thus, Christ lifted the burden of sin off of man's shoulders, carrying it in His body on the tree, that man may be forever justified.

December 21, 2005

---

[1] Matthew 11:30.
[2] See Galatians 3:13.
[3] See 2 Corinthians 5:21.
[4] See Matthew 26:42.
[5] 2 Corinthians 5:21.
[6] Galatians 3:13.
[7] Galatians 3:13.

Chapter 23
"You must be born again" (John 3:7).

THE TIME IS OVER for the animal birth that is of the flesh, when man could not separate from the animal in any form. We used to be born in order to eat and die. Now,

our food is from above, "He who feeds on Me will live because of Me"[1], "unless you eat the flesh of the Son of Man and drink His blood, you have no life in you"[2]. Thus, our food became heavenly and our drink from God. Because of that, and for that, we are now born from above, from heaven, from the body and blood of the Son of God, so that we may live, not on earth like animals, but rather in heaven with God in His heavenly kingdom. Christ says, "You must be born again", and the word "must" means that it is necessary and imperative that you be born again. And so it is no more a choice but rather an obligation, if we want to live forever with Christ and God. It is then not a willful choice but a heavenly requirement. For man is now exalted from the animal nature to the likeness of angels, and an angel must be heavenly, otherwise he becomes a devil. Likewise, man, either he be born from above in the likeness of the heavenly, or he will remain under the power and rule of Satan.

Thus Christ came from above to give birth to us from His Spirit that we too may be from above. And Christ did not declare that, as if it were just a saying or mere words. He knew that for us to be born from above, He had to die in the flesh for those in the flesh that He may live through the resurrection and ascend, lifting us up. So we no longer ask, "Who can raise us up?" or, "How can that be achieved?" For we are at the present time, not tomorrow, considered to be born again, and sons of God in Christ. For Christ's term "must" means that now we must realize that we are born in Christ to live on high.

For earth is no longer our homeland, for we are of another city, up above, which has the eternal foundations[3]; earth is no longer fit to be our home, for we desire a better, that is, a heavenly country[4] which Christ has prepared and to which He will be coming to take us[5]. Thus, Christ's saying "you must be born again" is a done deal, for we were born and became sons of God, and so we were lifted, not only from earth, but also from humanity which we belonged to through Adam; whereas now we belong to Christ and God.

Thus, Christ stirs up our mind that we may grasp our heavenly reality, whereby Christ says, in truth, that we are not of the world[6]. For He moved us, for good, through His death and His ascension from earth to heaven; yes, indeed for good. Therefore, in Christ we live from now for our better home, which is the heavenly one, and we take pride over all the sons of men that we became the children of God in Christ Jesus.

And so, we congratulate you, O joyful reader, for you are born of Christ, if you truly believe in Christ, His cross, death and resurrection; for He was crucified for you, and He died for you, and He resurrected with you and for you.

December 22, 2005

✞✞✞

[1] John 6:57.
[2] John 6:53.
[3] Hebrews 11:10.
[4] Hebrews 11:16.
[5] See John 14:3.
[6] John 17:16.

Jonah and Christ's salvific dispensation

Now when we take the blessed prophet as a type of the ministry understood in Christ, there is need to add that the whole world was at risk and the human race was affected by tempest, as if the waves of sin itself were raging; the dire and insufferable pleasures were overwhelming it (…).

When we were in this situation, however, the Creator had pity. And the God and Father sent us the Son from heaven; he took in flesh, arrived on earth when it was at risk of tempests, and willingly went to his death to make the storm abate, allow the sea to become calm, settle the waves, and put an end to the storm ; by the death of Christ we were saved. The tempest abated, the rain passed, and waves settled down, the force of the winds diminished, deep peace then prevailed, and we enjoyed fair weather of a spiritual kind, since Christ has suffered for us.

Commentary on the twelve prophets,
tr. R. C. Hill, Cath. Univ. of America, 2008, vol. II, p. 162.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Κυρίλλου

Χρῆναι δέ φημι τῆς ἐν Χριστῷ νοουμένης διακονίας παραληφθέντος εἰς τύπον τοῦ μακαρίου Προφήτου, προσεπειπεῖν ἀναγκαίως, ὅτι κεκινδύνευκεν ἡ σύμπασα γῆ, κατεχειμάζετο τὰ ἀνθρώπινα, μονονουχὶ καταθρωσκόντων αὐτῆς τῶν τῆς ἁμαρτίας κυμάτων, δεινῆς τε καὶ ἀφορήτου περικλυζούσης ἡδονῆς (…) ἐπειδὴ δὲ ἦμεν ἐν τούτοις, ἠλέησεν ὁ Δημιουργὸς, πέπομφεν ἡμῖν ὁ Θεὸς καὶ Πατὴρ ἐξ οὐρανοῦ τὸν Υἱὸν, ὃς ἐν σαρκὶ γεγονὼς, καὶ εἰς γῆν ἀφιγμένος τὴν κινδυνεύουσαν καὶ χειμαζομένην, καθῆκεν ἑαυτὸν ἑκὼν εἰς θάνατον, ἵνα στήσῃ τὸν κλύδωνα, καὶ κοπάσῃ μὲν ἡ θάλασσα, κατευνασθείη δὲ καὶ τὸ κῦμα, καταλήξῃ δὲ καὶ ὁ κλύδων. σεσώσμεθα γὰρ ἐν θανάτῳ Χριστοῦ. καὶ ὁ μὲν χειμὼν παρελήλακεν, ὁ ὑετὸς ἀπῆλθεν, τὰ κύματα ἐστορέσθησαν, λέλυται τῶν πνευμάτων ἡ βία, βαθεῖα δὲ λοιπὸν ὑπέστρωται γαλήνη, καί ἐσμεν ἐν εὐδίαις ταῖς νοηταῖς, Χριστοῦ παθόντος ὑπὲρ ἡμῶν.

Pusey, I.579

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):
U.S.$ 100.00; Single Copies U.S.$ 10.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2024 by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK February 2024

Monthly Review

Feast of the Presentation of Jesus Christ in the Temple

When the parents (of Jesus) brought in the child Jesus, to do for him what was customary under the law, Simeon took him in his arms and praised God, saying, "Master, now you are dismissing your servant in peace, according to your word; for my eyes have seen your salvation, which you have prepared in the presence of all peoples, a light for revelation to the Gentiles and for glory to your people Israel" (Lk 2:27-32 NRSV).

(Feb 16, 2024 — Amshir 8, 1740)